

عالمیہ



روایات

AMLY

# القوزاق

THE COSSACKS



خاندان



القوزاق



للطبا الكبير ليو تولسوى

تعميد حسيّن القبا

الولايات المتحدة

العدد رقم ٢٠٠

القوانين

## الفصل الأول

### الرميل

كان السكون يخيم على موسكو . وبين كل فترة طويلة وأخرى كانت إحدى المركبات تمضي على الشوارع المكسوة بالجليد ، وكانت كل نافذة مظلمة ، ومصاييح الشوارع مطفأة . أما أجراس الكنائس فكانت هي وحدها التي ترسل دقاتها المتباعدة مؤذنة بفجر يوم جديد . الشوارع مهجورة . . وبين الحين والآخر كانت إحدى الزحافات تشق طريقها على الشارع المكسوة بالجليد لتمضي المررع آخر ، بينما يغالب سائقها النوم في انتظار أحد الركاب ، وممرت مفيدة عجوز في طريقها إلى الكنيسة . وفي داخل الكنيسة كانت الأيقونات الملهة تعكس الأضواء الحمراء الخافتة المرسله من الشمعدانات . كان العمال قد بدأوا ينهضون بعد ليل شتاء طويلًا لتسرفوا إلى أعمالهم .

ولكن السادة المترفين كانوا . . كمهدم في كل ليلة . . مستيقظين .

كانت أضواء حانة شيفالير - المخالفة للقانون في تلك الساعة - تلوح من وراء فرجة في خصاص النافذة . وأمام الحانة كانت تقف زحافة خاصة ، وبعض المركبات ، بينما وقف سائقوها ، وظهر بعضهم إلى ظهور بعضهم الآخر التماسا للدفع . وكان ثمة مركبة يريد

المتكلم ابتسما . اما حارس البوابة المدثر الى عينية من قرط الشعور  
بالبرد ، فقد وقف محتفيا فى ركن من البناء .

وقال لنفسه تابع مرهق كان ينتظر فى الردهة :

— مامعنى كل هذه الثثرة . ولماذا لا تطول ثورتهم الا  
فى نوبتى ؟.

وكانت اصوات الشبان الثلاثة تسمع وهم يتناولون عشاءهم  
افى الفرفة المجاورة . وكانت بقايا الطعام والشراب متناثرة على  
مائدتهم . واحد هؤلاء الثلاثة كان نحىلا ضيق الصدر قصير  
الجسم جالسا يرنو الى صديقه الموشك على الرحيل بعينين مجهدتين  
بثمان عن الاشفاق . وكان الثانى طويل القامة يداعب باصابعه  
سلسلة مفاتيحه . اما الثالث الموشك على الرحيل ، فكان مرتديا  
مسترة جديدة من فراء الغنم ، كما كان يروح ويجيء فى جوانب  
الفرفة ويكسر بين اصابعه لوزة بين الحين والآخر . وكان متألق  
النظرات ، متوهج الوجه ، ترقرف ابتسامة غامضة على شففيه اما  
حديثه فكان حارا مصحوبا بحركات من يديه لتصور المعانى التى  
تعجز الكلمات عن التعبير عنها .

كان يقول فى تلك اللحظة :

— اننى الان استطيع ان اتحدث بصراحة ، لا دفاعا عن نفسى ،  
ولكن لانكما تفهماننى كما افهم نفسى ، ولا تنظران الى الموضوع من  
الزاوية التى ينظر اليه منها الدهماء .

ثم استدار الى الشاب القصير النحيل الذى كان ينظر اليه  
باشفاق واردف قائلا :

— تقول اننى اسات اليها بقطعي علاقتى بها ؟.

فاجاب الشاب القصير النحيل بمزيد من الشعور بالارهاق :

— نعم . . بكل تأكيد .

— اننى اعرف لماذا تقول هذا . ان من راىك ان الانسان يجب





أن يشعر بالسعادة حين يجد امرأة تحبه كما يشعر بها حين يبادل  
امرأة ما الحب . ولكن شتان بين الأمرين .

— يكفي يا ولدى أن يكون الإنسان محبوبا .

— لا . . . لابد أن يكون الحب متبادلا . . . أن الحب من طُرف  
واحد نعاسة ، نعم . . . أن من سوء حظ الإنسان أن تحبه امرأة  
لا يستطيع أن يحبها بدورها . . . لأنه سيكون عاجزا عن أن يمنحها  
من نفسه شيئا .  
ثم لوح بلزاعيه واستطرد قائلا :

— لو كانت الأمور تحدث بطريقة منطقية لاستراح الناس . .  
أشعر كإنى اسرق حب هذه الفتاة ، وحتى أنت ترى هذا . لا تنكر . .  
ولكن معظم الأحداث تقع على غير ما يشتهي المرء . . نعم . . إننى  
ومع ذلك . . فهل تعلم أن هذه الحماسة الغرامية هي الوحيدة  
— بين جميع حماقاتى — التى لا أشعر بالندم من ارتكابها . . إننى  
لم أحاول منذ اللحظة الأولى أن أخدعها . لقد ظننت فى أول الأمر  
أنى أحبها ، ولكننى اكتشفت بعد ذلك أننى خدعت نفسى ، وإننى  
لا أستطيع أن أستمع فى هذا اللون من الحب ، ولكنها عاندت وأصرت  
على أن نستمع فى حبنا . . فهل ثمة لوم على لأننى عجزت عن حبها ؟  
ماذا كان فى وسعى أن أفعل ؟ .

فقال صديقه القصير النحيل وهو يشعل سيجارة حتى يطرد  
النوم عن عينيه :

— حسنا . . لقد انتهى كل شيء بينكما الآن . وهذا هو المهم .  
أنك لم تحب فى حياتك ولا تعرف ما هو الحب .

فأمسك الشاب الموشك على الرحيل برأسه بين يديه وحاول  
أن يقول شيئا .  
وبعد فترة صمت ، قال :

— لم أحب فى حياتى ؟ نعم . . هذه هي الحقيقة . . إننى لم  
أحب فى حياتى . ولكننى أتمنى أن أفعل هذا . وليس هنالك



أمنية اعظم من هذه الامنية . وعرة اخرى اسأل .. هل الحب موجود حقاً ؟ ان هناك شيئاً ناقصاً في كل عاطفة حب بين رجل وامرأة .. وهذا الشيء الناقص هو الذي يجعل كل حب وهما .. ولكن انتهى كل شيء كما تقول .. وأشعر الآن أنني مقبلٌ على حياة جديدة .

وعندئذ قال الشاب الطويلُ الراقِد على المتكا يداعِب سلسلة مفاتيحه :

— لكي نملأها مرة اخرى بالمشكلات .

ولكن الشاب الماسفر تجاهله وقال :

— أنتى حزين وسعيد لهذه الرحلة .. وأنا أعرف لماذا أنا سعيد ؟ أما لماذا أنا حزين ، فلا أعرف .

وراح يتحدث لنفسه وكأنما لا يوجد في الغرفة سواه .. وفجأة فتح الباب ووقف فيه تابع شاب في سترة من فراء الغنم ، ومظرف صوفى حول عنقه . وقال للشاب الماسفر :

— أولفين دبمري اندريفتس .. ان سائق الرحافة لم يعد يطبق الانتظار . والجباد واقفة منذ الساعة الحادية عشرة مساءً ، وهي الآن تقترب من الرابعة .

ونظر أولفين — الشاب الماسفر — الى تابعه فانبوشا . ثم قال :

— نعم يا فانبوشا .. لقد حانت لحظة الوداع .

وببادل الشبان الثلاثة القبلات . وشرب أولفين لماعة كاسه ، ثم صافح صديقه القصير النحيل بحرارة .. وقال له وهو مضطرب الوجه :

— لسوف اكون صريحاً في حديثي الآن ، وهذه الصراحة نابعة من حبى لك . انك تحبها ليس كذلك ! لقد كنت اعتقد أنك تحبها من اعماق قلبك فهل انا على صواب ؟ .

فقال الشاب القصير النحيل بصوت هادئ :  
- نعم

- اذن أرجو ان تسعد بها وتسعد بها .

ودخل لخدم الحانة وقال بصوت يغلب عليه النعاس :

- معذرة أيها السادة . لقد حان وقت اطفاء الأنوار .

ثم استدار الى الشاب الطويل . . واردف قائلا :

- هل اقدم لك ياسيدي قائمة الحساب ؟

- نعم . . اكم .

- ستة وعشرين روبلا .

وبينما كان الشاب الطويل يدفع الحساب : تخرج المسافر  
وصديقه القصير النحيل الى الردهة . . وكان هذا يقول :

- وداعا يا صديقي العزيز .

وظفرت الدموع الى عيون الصديقين . واستدار أولئين الى  
الشاب الطويل حين لحق بهما وقال :

- لقد دلفت الحساب ! حسنا . . أرجو ان تضيفه الى قائمة  
مضروقاتي عندما ترسل الدفعة الأولى من ايرادى الى .

- سمعا وطاعة . . آه . . لشك ما أحسك على هذه الرحلة  
يا أولئين .

وجلس أولئين فى الزحافة . . وانسحب بجانبه مكانا وقال  
للشاب الطويل :

- اذن لماذا لاننى معي ؟ . هلم اركبي .

ولكن هذا تجاهل الدعوة وقال :

- ليكن الله معك يا أولئين . . وداعا .

وقرّع السائق بسوطه .. وانطلقت الرحافة بصريها على  
جليد الشارع ..

وقال احد الصديقين للآخر:

- انه شاب لطيف .. اولئين! ولكن ما اغرب قيامه بهذه الرحلة  
الى القوقاز! لماذا القوقاز بالذات! ومتطوعا فى الجيش المربط  
هناك ايضا! اننى شخصا لا استطيع ان افعل هذا مهما يكن  
المن ..

وبعد برهة صمت ، اردف قائلا:

- هل ستعنى فى النادي ؟

- نعم ..

وشعر المسافر اولئين بالدفء .. بل بالحرارة النبقة من  
ستره المصنوعة من فراء الغنم .. وكان جالسا فى ارضية الرحافة،  
وقد فتح ازرار ستره ، بينما اخدت الجياد الثلاثة الغزيرة النعم  
تجر سيقانها من شارع مظلم الى آخر .. سوارع لم يرها اولئين  
من قبل .. ولكنها كما خيل اليه ، لابد من ان يعمر بها كل مفاصل  
قوى طريقه الى خارج المدينة فى رحلة طويلة .. وكان الظلام المحيط  
به مطبقا ومثيرا للانقباض .. اما النفس فكانت زاخرة بالكربات  
ذكريات الحب .. والندم .. والشعور بالقدرة على كبت  
الدموع ..

## الفصل الثاني

### المرحلة

قال أولئين يكرر القول لنفسه !

— اننى احبهم .. احبهم جدا .. انهم اصدقاء طيبون ..

ولكن .. لماذا كان يرفض أن يبكى . ومن هم هؤلاء الاصدقاء الطيبون ؟ انه لم يكن يعرف على وجهه اليقين .. وكان بين الحين والآخر يتلفت حوله وينظر الى بعض المنازل ويتساءل لماذا شيدت على هذا الطراز .. وأحيانا كان يخامره العجب والتساؤل لماذا يجلس السائق وفانيسوا قريبين منه ، ولماذا يتأرجح فى هذه الزحافة فوق هذه الشوارع الجليدية .. ومرة أخرى كان يقول لنفسه !

— اصدقاء من الدرجة الأولى .. ما أشد حبى لهم ..

وتخيل اليه انه مخمور .. ولكن لا .. حقا لقد شرب بضع كؤوس من الخمر .. الا ان احساسه هذا الجديد لم يكن نابعا من الخمر وإنما من شىء آخر . لقد تذكر كلمات الوداع والمصافحة .. والنظرات المبللة بالدموع ، والضئمت ، انهم جميعا يحبونه ، حتى الذين كانوا يكرهونه .. تماما كما يحدث للانسان المحتضر عند ساعة الاعتراف .. ومن يدري ، فلعله لن يعود من رحلته هذه أبدا ..

ولكنه لى أعماق نفسه كان يشعر ان احساساته هذه لم تكن نابعة  
من الحب لاصدقائه ومعارفه ، ولا من الحب لهذه الفتاة التى لم  
يحبها قط . وانما من الحب لنفسه . . الحب للحياة الجديدة  
المشرف عليها . . الحب لكل ما هو خير فى نفسه ، ولم يعد فى تلك  
النفس شئ غير الخير . . وان هذا الشعور ليرفمه على اطلاق الدموع  
الحبيسة لى عينيه .

كان أولئى شابا ترك دراسته الجامعية قبل اتمامها ، ثم اشتغل  
موظفا فى هذه الادارة الحكومية او تلك . وقبل ان يبلغ الرابعة  
والعشرين من عمره كان قد ضيع نصف ثروته الطائلة . وعلى الجلة  
اكان واحدا من هؤلاء المرفوفى فى موسكو باسم « الطبقة  
الرافية » .

كان منذ الثامنة عشرة من عمره متحررا من كل القيود بعد ان  
مات والداه تاركين له ثروة كبيرة . وهكذا انطلق فى الحياة يعمل  
هايشنهى بلا قيود مادية او اخلاقية . . بلا قيود عائلية او  
اجتماعية . . بلا ايمان بالحب . . لم يكن يعرف شيئا سعة  
الحب بين رجل وامرأة . . وانما هى الغريزة التى تحكم هذه العلاقة  
تقط . ومع هذا كان يشعر بالحرج والارتباك امام كل فتاة او سيدة  
بجميلة بواها لأول مرة . ورغم احتفاره للألقاب وذوى المراكز الكبيرة ،  
الا انه كان يشعر بالزهو كلما تلقى دعوة من عظيم او امير احضور  
احدى الحفلات . وكان اذا شعر ان مغامرة ما او اى حدث سيؤدى  
الى تقييد حريته فى التصرف ، اسرع بالتخلص من الموقف قل ان  
يتمادى فيه . . وهكذا كان ينطلق كالطائر الحر فى المجتمع  
الروسى ، الا ان هذا الاطلاق كان سببا لضباغ نصف ثروته ،  
ووقوعه فى كثير من المشكلات الناجمة من علاقات بالنساء مما  
اوى به فى النهاية الى مشكلة خطيرة مع احدى فتيات المجتمع  
الروسى ، ولم يكن هناك من سبيل للخروج من هذه المشكلة الا  
القيام برحلة طويلة نهذا خلالها صباغات الاستنكار وبتردد بعدها  
مكانته فى المجتمع ، وحتى بدء هذه الرحلة كان يشعر انه عاش  
حياته فى سلسلة من الاخطار وانه لم يستطع ان يصنع لنفسه  
هدفا فى الحياة . . ولكنه ، مع بدء هذه الرحلة ، شعر انه سيبدأ

حياة جديدة ، بلا أخطار ، وبلا نزوات وبلا ندم .. وانما حياة لها هدف .. ولها طامعها الخاص من المعبادة .

وهكذا كان احساس اولتين فى اول صباح اشرق عليه وهو ماض فى رحلته الطويلة .. انه يترك وراءه ذكريات مرحلة من حياة مليئة بالأخطار والنزوات ، ويبنى فى خياله قصورا فى الهواء اما

ولما تركت الزخافة المدينة وراءها واندفعت فى طريق زرامى تمتد على جانيه اراض واسعة مكوة بالجليد . شعر اولتين بالعطش والرضى ، ودثر نفسه جيدا بسترته وبغطاء صوفى ، ورفد فى قاع الزخافة ليتام . ولكن احتياج مشاعره جعل النوم عميرا عليه .. وعادت الذكريات تتسرح فى ذهنه . ذكريات الاصدقاء .. والسمرات .. والديون المتراكمة عليه .. والحب الأخير .. آه .. لقد ظن يوما انه رفع اسيرا لحب هذه العدة الثرية .. ولكنه صحا ذات يوم واذا هو منحرر من هذا الحب .. واذا هو سعيد .. ان قيود الحب لا تغرق كثيرا عن قيود السجن .. وما اسعد الانسان الذى يستطيع ان يحطمها ويحرقها .. ومع ان هذه العدة كانت على استعداد ان تتزوجه رغم ديونه ، ورغم ان الزواج منها كان سحرره من قيود هذه الديون ، الا انه فضل قيد الدين على قيد الزواج من فتاة لا يحبها . ان قيد الدين يمكن ان يتحرر منه بعد عام من الحياة المنقصة الخالية من السمرات الحمراء ومن الاسراف فى شرب الخمر ، ومن البعد عن موائد الميسر .. اما قيد الزواج من فتاة لا تحبها فكيف ومتى يمكنه التحرر منه ؟

قرر ان يعيش عاما بعيدا عن اضواء المجتمع .. ودبر له امن هذه الرحلة الى القوقاز جماعة من اصدقائه .. بينهم شاب من حاشية القيصر نفسه . وهكذا نبل بطوعه فى الحاشية المراقبة فى القوقاز . ومن بدرى .. فقلعه يقوم بأعمال بطولية تجعله جديرا بوسام ولقب كولونيل فى الحرس القيصرى .

ووصل اولتين مع الضحى الى المخفر الثالث فى الطريق ؟ فشرب فيه بضعة اقداح من الشاي وساعد فانينوشا فى إعادة وضع الحفائب والحاجيات ثم الاستقرار بينما يحسب المسافة التى

تقلعها ، والمسافات الباقية حتى نهاية الرحلة .. المسافة الى كل مخفر .. والمسافة الى كل مدينة ، والاماكن التى سيناول فيها افطاره او غداءه او عشاءه ، والحانات التى سيبيت فيها لباليه .. وفى الوقت نفسه كان يحسب ايراده من املاكه الواسعة فى ذلك العام .. وكما سيحتاج من مبالغ لتسديد ديونه ، وكما سيحتاج للحياة فى القوفاز ، وكما سيبقى بعد ذلك !.

وتنهى فى ارياح عندما ادرك انه يستطيع تسديد ديونه كلها فى نهاية اشهر ، وان يتسلم فى كل شهرين الف روبل . وان يتبقى له بعد ذلك اكثر من عشرة آلاف روبل يبدأ بها مرحلة جديدة من الحياة .

وتطلع بخياله الى ارض القوفاز .. انه لم يزورها من قبل .. ولكنه سمع الكثير عن شجاعه رجالها ، وعن جمال نساها . وعن لغشوبة الحياة فيها .. وفرر فى نفسه ان يحيا فيها حياة خالية من كل خطأ .. ان الخطأ فى بلاد كهذه قد يكلف حياته .. وهو انى هذه السن احرص ما يكون على هذه الحياة !.

وامتد به الخيال الى كوخ جميل ، والى زوجة قوفازية حسنة موفورة الشاب والقوة .. تنتظره على مدخل الكوخ حين يعود اليها فى المساء مقبرا ، مكللا بلحد ليلقى قبلاتها ، وضاماتها وليقضى معها فى ضوء القمر امسية جميلة .

ومن يدري .. فلعله يعود بها انى موسكو ليعلمها اللغات وآداب المجتمع ، ويجعل منها كوكبا لامعا فى سماء المجتمع الروسى بموسكو .

وفى صباح اليوم التالى ، تكرر هذا كله مرة اخرى .. المناظر .. والخافر ، والاراضى الشاسعة على الجانبين .. والاستراحات .. وشرب الشاي ، والذكريات .. والامال !.

وقبل الليل .. ويقلب النوم اولتين على امره .. ليعود مرة اخرى مستيقظا فى صباح جديد !.

\*\*\*

كان أولئين يشعر انه كلما ازداد بعدا عن وسط روسيا، ازدادت  
ذكرياته القديمة بعدا عن ذهنه ، وكلما اقترب من ارض القوقاز ،  
ازداد احساسا بالبهجة والامل . وكثيرا ما خطرت بباله فكرة  
الاستقرار نهائيا فى القوقاز وعدم العودة الى موسكو اطلاقا .  
وكان يقول لنفسه فى هذا الشأن :

- ان الناس هنا لا يعرفون عنى شيئا . ليس بينهم احد سبق  
له الذهاب الى موسكو ، او يحتمل ان يذهب اليها .

وعندئذ كان يخامره شعور بهيج جديد بالتخلص من ماضيه  
كله . . من ديونه . . واصدقائه المتنعمين بثروته . . ومن نفاق  
المجتمع . . ومن يدري . . فلعل هذا ما سوف يحدث ! هكذا كان  
يحدث نفسه .

ولما وصل الى القوقاز السفلى ، استبدل بالزحافة مركبة برية  
حتى اذا ترك مدينة سانتروبول وراه ، اشتدت حرارة الجو مما  
يجعله يخلع سترته الوبرية - آه . . انه يعبئ فى جو ربيعى .  
ربيعى ناضر جميل عاطر الهواء بالشذى الفواح من الزهور .

وفى المساء كان الحراس يحذرونهم من الخروج الى ما وراء  
هضاب القوقاز ، حتى لا يقعوا فى ايدى عصابات قطاع الطرق من  
قبائل التتار . واثارت هذه التحذيرات فى قلب فانبوسا الخوف  
والقلق ، وجملة بنام ويندفيه المحسوة بالبارود بجواره . اما  
أولئين ، فكان يزداد احساسا بالبهجة والرضى . وفى احدئ  
المخافر ، قال لهم الحارس ان جريمة قتل رهينة وقعت فى الطريق  
الجلى خارج المناطق الآهلة . . ولما استأنفوا السفر فى اليوم  
التالى ، لاحظ أولئين ان الرجال جميعا كانوا يسرون مساحين  
بالبنادق والخناجر والسيوف ، وقال لنفسه : الآن وصلنا الى  
برارى القوقاز ، وراح يحدق فى الافق البعيد آملا ان يرى فى اية  
لحظة جبال القوقاز المتوجة بالثلوج التى طالما سمع عنها . وفى ذات  
مساء اشار سائق المركبة الى قمم وراء السحب ، فنظر أولئين اليها  
بلمهة ولكنه رأى السماء ملبدة بالغيوم التى اخفت وراءها الجبال .  
ومن لم لم يستطع الا ان يرى انقا رماديا تتخلله سحالي بيضاء



وعبثا حاول أن يرى شيئا من الجبال فى تلك الركام الرمادية . .  
ولخيل اليه ان الوان الجبال التى طالما سمع بها عن جبال القوقاز  
المتوجة بالثلوج ليست الا شيئا من صنع الخيال ، مثل موسيقى  
بلاخ . . ومثل الحب ، وكلاهما لا يؤمن به .

ولكنه حين استيقظ مبكرا فى صباح اليوم التالى بأحد  
المخافر ، فوجيء وهو يلقي نظرة عابرة الى اليمين ، برؤية قمم هائلة  
ناصعة البياض قريبة منه . . وكأنها لا تبعد عنه غير بضعة خطوات . .  
وكان الجو صحوا والهواء منعشا والرؤيا واضحة . . وبدأت له هذه  
القمم الناصعة كأنها عند متناول يديه برغم أنها فى الواقع كانت  
تبعد عنه مئات ومئات من الأميال . . ولما أدرك مدى بعدها عنه . .  
ومبلغ ضخامة هذه الجبال . . خشى أن يكون الأمر كله حلما او سرايا  
. . ومن ثم راح يؤكد لنفسه انه يقظان ، وأن ما يرى ليس الا  
بحقيقة لا سبيل الى انكارها .

وسأل سائق المركبة مشيرا اليها :

— ما هذا ؟ ما هذا ؟ .

فقال السائق بغير اهتمام :

— عجا ! انها الجبال .

وقال التابع فانوشا :

— لقد ظلمت انظر اليها مدة طويلة . . ليست رائعة ! انهم لن  
يصدقونى حين اعود الى موسكو وحدثهم عنها .

واستمرت المركبة فى طريقها حتى اقتربت من نهر تيريك . .  
ورأى أولئين رجالا ونساء جميلات من قبائل القوقاز . . وقال  
لنفسه فى النهاية :

— هانذا امضى فى برارى القوقاز غير خائف . . ولماذا اخاف .  
ومعى بندقيتى ، وشيابى . . وقوتى . . وهذه الجبال الشامخة ! .

## الفصل الثالث

### القوزاق

كانت قرى القوزاق العليا تنال على ضفة نهر بيريك اليسرى  
بمسافة خمسين ميلا طويلا ، وكان نهر بيريك الذى يفصل بين  
بائل القوزاق ، وبين قبائل التنر الجبلية ينطلق فى مجرى عريض  
خف به من الجانبين نباتات الغاب المالبة ، وأشجار البلوط والحوار  
وأغصان النباتات المتسلقة ، اما الضفة اليمنى ، فكانت تنال عليها  
وعلى الهضاب والتلال المنحدرة منها الى الجبال قبائل التنر  
الروسية . اما قرى القوزاق ، فكانت تقع بعيدا عن الضفة اليسرى  
بمسافة نصف ميل تقريبا ، وبين كل قرية وأخرى نحو ستة أو  
سبعة اميال . وعلى طول هذه الضفة اليسرى كانت تقوم مخاض  
الحراس القوزاقيين الذين يؤدون مهمة طرد عصابات التنر التى  
اعتادت ان تغمر بين الحين والآخر على قرى القوزاق . اما فى  
الشمال فكانت تبدأ صحراء نوجاى او هضبة مزدوك التى تمتد الى  
مناطق التركمان . واما فى ناحية الجنوب ، بعد نهر بيريك ، فكان  
بمعد نهر شيسكتابا ، ثم سلسلة جبال كوشكاليكوف . ثم الجبال  
السوداء . ثم التمام المكسوة بالثلوج ، التى يراها الناس فقط ، دون  
ان يصلوا اليها .

والقوزاقى قد يحترم ويحب عدوه الجبلى ، ولكنه يكره الجنود

الروصيين المراكبيين في بلاده ، لانهم يرمزون للفسق والاحتلال والقهر والتسلط وتقييد حريته ، بل ان القوزاق يعتبر الفلاح الروسى قريبا عنه ، دخیلا عليه ، متطفلا على ارضه . وقبائل القوزاق ترى ان افضل الاسلحة هي التي يشترونها من قبائل التتر الجبلية ، او يظفرون بها منهم في المناوشات الحربية . وكذلك كانوا يعتبرون ان احسن الجياد هي جياد تلك القبائل التي يحصلون عليها بالثمن او بالسرقة . والشباب القوزاقى يفخر ويزهو على اخوانه حين يتقن الحديث باللغة التتيرية . وكذلك رجال التتر لم يكونوا يحترمون احدا ولا يحفلون باحد الا بالقبائل القوزاقية .

والقوزاقى يشغل وقته اما بجنديا في احد مخافر الحراسة ، او في الصيد داخل الغابات او في صيد السمك . . او في الحملات الحربية وهو قلما يعمل شيئا في القرية . . انه لا يذهب الى قريته الا بين الحين والآخر . . وحين يذهب اليها ، فانما ليقضى فترة من الراحة والاستجمام اذا كان متزوجا ، وفترة من الحب والفزل مع بنات القرية ان كان امزج . . والقوزاق يصنعون خمرهم بايديهم من كروم العنب التي يزرعونها بكثرة . وهم لا يشربونها بادمان ، ولا الى حد السكر . والقوزاقى ينظر الى المرأة كأنها مخلوق ملك يديه . . ولكن الحقيقة هي ان المرأة تكاد تكون كل شيء في حياة الرجل القوزاقى . . انها هي التي تشرف على شؤون البيت وتربية الاولاد ، وهي التي تقوم بالعمل في المزارع والحقول ، وهي على الجملة اقوى احتمالا من الرجل ، والاكى ، واكثر اتزاناً ، واقدر على العمل .

والرجل القوزاقى يرتدى قلنسوة وصديرية فوقها سترة من الوبر شتاء ، وسراويل خفيفة . اما المرأة ، فانها تعصب برأسها بمندبل زاهى اللون يصل الى عينيها ، وتخفى نصف جسمها الاعلى بصديرية محكمة تبرز جمال الضلوع ، وتحتها جلباب طويل من الحرير الطبيعى الملون .

ويعيش القوزاق على محصول ارضهم من الكروم والاعناب والفواكه والبطيخ والخضروات والسمك ، صيد البر والاذرة والبقول .

وقرية نوفومسك التي تقرر ان يذهب اليها اولثنين ، تقع على ميلين ونصف ميل من ضفة نهر تيريك . . وهذه المسافة التي تفصلها عن النهر عبارة عن غابات كثيفة الاشجار ، ملتوية الممرات والدروب ، لا يستطيع السير فيها الا الرجل المدرب عليها ، وعلى جانب الطريق الرئيسي في الغابة يجري جدول مائي عذب ، وتمتد على ضفته الاخرى بساتين الكروم حتى تصل الى حافة صحراء لوجاي . اما القرية فهي محاطة بالحقول وبالأراضي الجرداء وبالنباتات البرية المختلفة ، ويمكن الوصول اليها من ناحيتين ، لكل ناحية بوابة كبيرة عالية يحرسها مدفع من طراز قديم ظفر به القوزاق في احدى المعارك الحربية القديمة . ويقوم على حراسة اكل بوابة قوزاق في ملابس عسكرية كاملة . ولكن الحارس كثيرا ما يتركها ليمضي الى الغابة لصيد الحيوانات البرية او السمك . وتوجد على البوابة الرئيسية لوحة بيضاء مكتوب عليها هذه الارقام : عدد المنازل ٢٦٦ وعدد السكان الذكور ٨٩٧ وعدد السكان الاناث ١٠١٤ . وتقوم اكواخ القرية القوزاقية على دعائم ترتفع عن الارض نحو قدمين ونصف قدم . وهي مبنية من خشب السنديان ومسقوفة ببراعة بالخشب المنين . ويتكون كل كوخ من غرفة او اثنتين ، واحبائنا من ثلاث . . والفرفة المخصصة للفرن تكون ارضيتها من البلاط الذي يتحمل الحرارة ، وتقع بين كل مجموعة من الاكواخ حارة او زقاق او شارع ضيق . كما تقوم حولها اشجار تظللها وتنبع في اجوائها شذى الازهار . وتكثر في القرية نباتات عباد الشمس الذي ينسلي بدوره (١) شباب القرية وفي الميدان الفسح في وسط القرية تقوم ثلاثة حوانيت لبيع بدور عباد الشمس والحلوى وبعض البقول . اما بيت الكولونيل قائد الحامية فهو اكبر البيوت ، ويقوم وراء عدد من الاشجار العالية وله نوافذ وفرفات تؤدي الى حديقة واسعة . وتبدو شوارع القرية في ايام الاسبوع خالية ، لان سكانها ينصرفون عنها الى اعمالهم المختلفة . الى الحقول او الغابات او مراكز الحراسة . ولا يبقى في القرية الا الصغار والاطفال والمرضى .

(١) بدور عباد الشمس تشبه الالف الذي ينسلي به شبابنا واطفاننا

ولكى أمية من الأمسيات المألوفة في القوزاق ، عندما بدأت الشمس تختفي وراء الجبال وترسل أشعتها النارية الحمراء الى السماء وتلون السحب بالألوان القرمزية المتلويحة ، اخذ سكان القرية يهرمون في العودة اليها قبل ان يداهم الليل المريع بالخوف الى سمات الوحوش البرية والمعضبات الجبلية . وهكذا لاح كان القرية تستيقظ من سبات الاصيل لتستقبل العائدين من الحقول والغابات . النساء يسرن حاملات المحاصيل ، والفتيات يقفن المركبات التي تجرها الثيران والأبقار ، والرجال يمشون واجلين أو على متون الجبال . . . ويمتلئ هوارع القرية بالرجال والنساء والمركبات والابفار واسراب الناموس والزنايم ، ويمتلئ الجو بالأحاديث والضحكات ، وبين الحين والآخر يرى جندي قموزاني يعض بجواده الى نافذة كوخ فيطرق عليه ، فاذا اطلت منه إحدى الفتيات ، راح يتبادل معها همسات الغزل ويتواعد معها على اللقاء ليلا .

وينتشر الأطفال والفلمان يصرخون ويلعبون « النحلة » وتوقع أصوات الرجال بالدعابات ، وتتصاعد من مداخل الكواخ سحب الدخان التي تنم عن الأفران الموقدة لأعداد طعام العشاء .

وكانت المعجوز أولريكا زوجة الضابط المتطوع بالتدريس في مدرسة الحامية العسكرية ، قد خرجت من كوخها . كفيها من النساء المجائز ، رقب ابنتها الشابة العشاء مارباتكا وهي تقود المركبة من الحقول الى ساحة الكوخ . وما كادت الجاموسة الضخمة تقترب من الكوخ حتى اندفعت الى الساحة وهي تخور بسرور حين واثبتت سبلتها المعجوز . . . وفيما كانت مارباتكا تعمل على فصل الجاموسة والبقرة من المركبتين ، وتدفع بهما الى المربط ، هتفت بها قائلة :

- اخلعي حذاءك يا مارباتكا حتى لا يبلى بصرمة من كثرة الاستعمال .

ولكن مارباتكا لم تفض ، وإنما ابتسمت واسرعت الى المربط حاملة أوعية اللبن لتحلب الجاموسة والبقرة . وبعد ان فرغت

امبروت الى الفرن .. ووقفت الأم بباب الكوخ ترتقب الحياة وهي  
تنبض بقوة في انحاء القرية قبل أن تهب مرة أخرى عند انسداد  
الليل .

ومن الكوخ المقابل عبر الشارع اقبلت سيده طويلة القامة قوية  
البنية الى العجوز اولتيكا تلمس منها عود نقاب .. وقد قالت :

- ظاب ساؤك يا صديقتي .. هل فرغت من عملك ؟

- ان ماريانكا تضرم النار في الفرن .

ثم اردت قائلة وهي تشر بالزهر لانها تنسدي صنيعة  
لجارتها :

- هل تريد عود نقاب يا صديقتي ؟

ودخلت المراتن الكوخ ، وفتحت اولتيكا علبة النقاب بين  
مجموعة ، وقدمت لجارتها عودين فقط ، لان النقاب كان من السلع  
النادرة التي يصعب الحصول عليها في براري القوزاق . وبدا ان  
العجزة لم تحضر للنقاب فقط ، وانما لتتولق قبلا مع جارتها العجوز  
اولتيكا . ومن ثم جلست في استرخاء وقالت :

- الا يزال زوجك العزيز غائبا في المدرسة ؟

فقالت اولتيكا زوجة المدرس :

- نعم .. انه لا يزال يعلم الشباب .. وقد كتب يقول انه  
سيحضر في الاجازة .

- انه رجل مثقف جدا .. وهو يقوم بعمل مهم يا صديقتي ..  
اليس كذلك ؟

- نعم .. حقا .

- ان ابني ليوكا لا يزال حارسا في المخفر .. وهم لا يسمحون  
له بالمودة الى البيت هذه الايام .

ولاح بوضوح ان العجزة جاءت لتدبر الحديث وتكره حول

أبنتها ليوكا الذى التحق منذ عهد قريب بالجيش ، وأصبح أحد  
حراس المخافر فى القوقاز .. وكانت أمه ترفيق فى زواجه من  
ماريانكا ابنة جارها اولتيكا .

وقالت اولتيكا :

— اذن فهو لا يزال فى المخفر ؟

— نعم يا صديقتى .. انه لم يعد منذ الاجازة الماضية .. وقد  
أرسلت اليه أول أمس مع صديقه فوشكين صديريه وقميصا .  
وقد قال لى فوشكين أن ليوكا بخير ، وأن الضباط يحبونه ، وقال  
أيضا أنهم فى المخفر يتربصون للتتر ، وأن ابنى سعيد بعمله جدا .  
فكانت اولتيكا زوجة المدرس :

— آه .. شكرا لله على هذا .. لاشك أن ابنك جدير بلقب

« الخفاف » .. وهو اللقب الذى أطلقه عليه أهل القرية .

وكان أهل القرية قد أطلقوا هذا اللقب على ليوكا عندما  
استطاع أن « يخطف » غلاما من النهر قبل أن يفرق . وكانت  
اولتيكا تهدف بحديثها عن ليوكا الى ارضاء أمه .

وقالت الام بصوت ينم عن الرضى :

— اننى احمده الله فى كل يوم لانه اعطانى ابنا طيبا . انه شاب  
ممتاز والجميع يحبونه ويثنون عليه .. وأن املى الوحيد قبل  
الموت أن أراه متزوجا من فتاة جميلة بارعة .

قردت المعجوز اولتيكا فى صوت ينم عن المكر وهى تعيد  
بأصابعها المعقدة الفطاء الى علبة النفاق :

— حسنا .. أليس فى القرية بنات كثيرات ؟

فاومات أم ليوكا برأسها وقالت :

— نعم .. كثيرات يا صديقتى .. كثيرات . وهاهى ذى ابنتك







مارياتكا .. انها ملأءا جميلة ، وان الانسان ليحتاج الى سنوات  
لكي يجد من هي اجمل منها .

وكانت زوجة المدرس تعرف الهدف الذي يسعى اليه ام ليوكا .  
ورغم موافقتها هي على هذا الهدف ، الا انها رأت ان تمنع قليلا  
لانيها ، اولاً ، زوجة مدرس ميسور الحال ، بينما ليوكا ابن فزواني  
من العامة ، ومتوفى ايضاً ، ولانيها ، ثانياً ، لم تكن على استعداد  
الافتراق عن ابنتها بسرعة . ومن ثم قالت في تحفظ :

- نعم .. عندما تكبر مارياتكا سنفكر في امر زواجها .

وقالت ام ليوكا :

- لسوف اوسل اليك الخاطبة في اقرب وقت . نعم .. هذا  
ما سافعله .. وعندما نجمع محصول المنب ، سوف اكون تحت  
امرلة . سآتي اليك ونحدث في هذا الامر مع زوجك الطيب .  
فكانت ام مارياتكا في تركها :

- وما جدوى الحديث مع زوجي . ان امر زواج مارياتكا يدي  
انا . ولكن لنترك هذا كله للوقت المناسب .

ولما رأت الزائرة امرات الحريم على وجه جارلها ، نهقت  
بسرعة لتصرف وهي تقول :

- حسنا يا صديقتي .. لا تنسى هذا الموضوع ، وتكرري جيلنا  
ايما تحدثت به اليك .. والان ، يجيب ان اسرع بالمودة لاضرم  
الفرن واعد المشاء .

ولما هي تنصرف ، قالت لنفسها حين رأت مارياتكا في ساحة  
الكوخ :

« .. هذه هي الزوجة التي امنأها لابني ليوكا .. انها ملكة  
جمل .. وقد حان وقت زواجها لتكون ربة اسرة » وزوجة لابني  
ليوكا .. »

## الفصل الرابع

### السيار البحر

كان رجال القرية يشغلون وقتهم بالأعمال العسكرة ، ولا سيما  
لعمل الحراسة في المحافر وعند اقتراب المساء ، كان لبوكا  
- الخطاف - الذي دار حوله حديث المرائين ، واقفا في بوج  
المراقبة بمخبرين برونك القائم على الضفة البئر لهر تريك .  
كان معتمدا على سياج الروح ، بمد البصر الى ما وراء النهر حينما  
والى رميله الواقف في أسفل البرج حينما آخر ، حيث كان سادل  
مع الحديث ، بين آن وآخر . وكانت الشمس قد غابت وراء القمم  
المتوجة بالثلوج ، واخذت السحب تجمع في السماء وطاب  
الهواء بعد وفدة الحر ، وانسات من الغابات نائم رطة منعشة ،  
ولكن الجو حول المخفر كان لا يزال حارا . وارتفعت اصوات  
الحراس القوزاقيون وهم يشادلون الحنديث واخذت ترفرف في  
الجو كأنها اصوات عدد من الطيور البرية . وكانت ضفة النهر امام  
المخفر مهجورة ، ليس فيها الا نبات القاب . اما في الضفة الاخرى  
فكانت النباتات تمتد صاعدة الى سفوح الجبال التي تقوم فيها قرى  
التتر .

وعلى البرج وقف لبوكا - الخطاف - بقامته الطويلة ووجهه  
الوسيم الذي ينم من القوة والفتوة . وكان - رغم حداثة عمره  
بالجيش - قد ابدى من ضروب الشجاعة ما جمعه مره وفا بين

أخواته . وكفى وقفه هذه لمح من بعيد نساء إحدى القرى النائية  
يخرجن جماعات ، فقال وكأنه لا يحدث أحدا معينا :

— ترى لماذا تخرج هؤلاء النساء هكذا جماعات .

ورد صديقه نازار الذي كان مسترخيا في جلسته تحت

البرج

— من أجل الحصول على الماء من النهر .

لضحك ليوكا وقال :

— ما رايتك لو افترقن برصاصة من بندقتي .

— ان بندقتك لا تصل الى هذا المدى .

فقال ليوكا وهو يذب عنه الزبابير المحلقة حوله :

— اهلا رايتك ؟ ان بندقتي تجوز هذا المدى .

ثم اردف بعد برهة صمتا :

— عندما يحتفلون بعيدهم الكبير : سوف اذهب الى صديقي  
جيري خان ، أحد اعيانهم واشرب معه رجاجة من جهمهم .

وسمع الصديقان حفيحا في النباتات القريبة منهما . ثم ما لبث  
ليوكا أن رأى كلب صيد مرقط يسرع نحوهما وقد أدنى أنفه من  
الأرض ، فعلم فورا أنه كلب الصياد المحوز ابروشكا . وما هي  
لحظة حتى برز الصياد نفسه من ادغال الغاب في طريقه الى  
المخفر .

وكان الصياد ابروشكا قوزانيا ضخيم الجسم ، غزير اللحية  
اهتها عريض الكتفين ، طويل القامة . وكان يرتدي سترة ريفية  
مسرقة ، مشدودة بحزام عند الوسط ، ويضع على رأسه قلنسوة  
من الجلد ، ويتمتع حذاء من جلد الفزال مشدودا الى ساقيه  
بالاربطة . وعلى كتفه كان يحمل شبكة بختفي وراءها عندما يذهب  
لصيد البط البري ، وحقبة فيها دجاجة صغيرة لافراء البوازي .

وعلى الكتف الأخرى كان يحمل قطة بريّة ضخمة صاها في يومه  
ذاك . أما حزامه الجلدي المربض فكان مليئاً بالجيوب التي  
تحتوى على الرصاص والبارود ومذبة لطرود الهوام وخنجر في غمد  
عليه بقايا دماء قديمة . وكان يحمل في إحدى يديه بندقيته ، وفي  
الأخرى بطتين بريتين .

ولما رأى المخفر « توقف وصاح قائلاً لكلبه بصوت جهورى  
رنان :

— مهلا يا ليام .

ثم رفع قبعته الى كتفه وقال لحراس المخفر بنفس الصوت  
الجهورى الرنان وكأنه يتحدث الى اشخاص في الجانب الآخر من  
النهر :

— ظاب ليلكم ايها الابناء .

وارتفعت الاصوات من كل جانب في مرج :

— ظاب ليلك ايها الصياد ايروشكا .

وقال الصياد وهو يمسح بكم سترته العرق عن وجهه المريض :

— ماذا وراءكم من انباء ايها البواسل ؟

وقمّر نازار بعينه وقال :

— يوجد في مكان قريب « بازي » شديد اليأس في حاجة الى

صياد بارع يقضى عليه .

فقال المجوز :

— كفى كذباً يا نازار .

— انتظر وسوف ترى بنفسك .

وضحك الحراس القوزاق الآخرون . وكان من عادتهم  
يسخروا من الصياد المجوز كلما راوه . وقال ليوكا في لهجه  
استنكاك :

• ان نلزار يا ابروشكا بكذب كعادة الحراس •

وصمت نلزار ، وقال الصياد ابروشكا :

• اذا كان هناك ما يحتاج الى المراقبة ، فسوف ابقى بينكم •  
لكن .. الم تلروا خنازير برية فى هذا المكان ؟

وهنا قال الجاويش وهو يحك ظهره بكلتا يديه :

• خنازير برية يا ابروشكا ؟ ماذا تعنى ؟ اننا هنا نراقب النثر  
هبر النهر ..

وكانت الانباء قد نواثرت بان عصابة من النثر تنوى الهجوم فى  
لك الليلة على القرية القوزاقية ، ومن ثم اودف الجاويش قائلا :  
• الم تسمع شيئا عن نوايا هؤلاء النثر يا ابروشكا ؟

• لا .. لم اسمع شيئا .. لديكم بعض الخمر ، اتنى فى حاجة  
الى كاس ، لانى متعب ولسوف اهدبكم ذات يوم بعض البط البرى  
.. هلم يا ابنتى .. قدموا الى كاسنا من خمرنا الحلوة •

فقال الجاويش وكأنه لم يسمع ما قال الصياد :

• ان فانت ذاهب للصيد الليلة ؟

• نعم .. اتنى افكر فى قضاء الليلة هنا .. وربما استظمت  
ان اصيد شيئا ينفعنى فى الاجرة . فاذا حالفتى الحظ ، سوف  
عطيك نصيبكم .. والله يشهد على •

وقال ليوكا بصوت لفت اليه جميع الحراس :

• اسمع يا ابروشكا . اذا سرت الى اعلى النهر ، فسوف تجد  
نظما من الخنازير البرية صدقنى . لقد صاد احد زملائنا خنزيرا  
هنا اول امس . اتنى لا اكذب عليك •

وكانت نبرات ليوكا تنم على انه لا يمزح . ومن ثم قال الصياد  
البحر :

— آه .. ان ليوكا بينكم كما ارى .. ليوكا الخطاف .. أين  
وأيت هذه الخنازير البرية يا ليوكا !.

فقال ليوكا وهو يهم بالهبوط من اليرج :

— لسوف آتى معك لاطلعت على المكان الذى قتلنا فيه الخنزير  
البرى أول امس .. وقد حان وقت تغيير الحراس الليلة .

وفيما كان ليوكا يمشى الى الصياد العجوز ، هتف به  
الجاييش قائلا :

— عد الى مكانك يا ليوكا .

فقال ليوكا للجاييش الذى كان يسمى جوركى :

— ان نوبتك للحراسة يا جوركى قد حانت ..

ثم التفت الى الصياد واردف قائلا :

— هلم الى الصيد يا ايروشكا .

\*\*\*

ولما عاد ليوكا وايروشكا من رحلتهم القصيرة ، كان الليل قد  
اوغل . وكان الجنود القوزاق قد فرغوا من نوبة حراستهم للمخفر .  
فاجتمعوا فى حلقة ليتناولوا وجبة العشاء .. وفى خلال هذا كان  
الصياد العجوز ايروشكا جالسا تحت شجرة يترقب ظهور البازي  
بعد أن وضع له الدجاجة فى مكان ظاهر ليفريه بها . اما ليوكا ؟  
فقد ذهب الى ضفة النهر ، وراح ينصب الفخاخ بين النباتات  
الفافية ليصيد بها البط البرى ..

وسمع ليوكا صوت صديقه نازار ، فى دغل قريب ، يقول له :

— ليوكا .. يبدو أن الجميع ذهبوا لتناول العشاء .

ثم برز نازار من الدغل حاملا فى يده بطة برية . فقال له ليوكا :

— آوه .. من أين أتيت بهذه البطة يا نازار .. لاشك انها  
وقعت فى احد فخاخى .

وكان نازار - مثل ليوكا - لى نحو الرابطة والعشرين من  
العمر . ولكنه كان صغير الجسم ، حاد الصوت ، وكان صديقا  
وجارا لليوكا . وقد رد قائلا :

- اننى لا امر ف على وجه البتة . .

- لقد كانت هناك ، فى الحفرة تحت شجرة الحور . . لقد  
وضعت فخاخى بها فى الليلة الماضية . انها بطنى لاشك فى هذا .  
وكان ليوكا جالسا متربعا ، كالنسر ، يضع فخا جديدا بين  
الاعشاب . ولما فرغ ، تناول البطة البرية من نازار وراح يتحسس  
عقها فى ابتهاج ويقول :

- سوف نجعل منها وجبة عشاء فاخرة . خذها واذهبها  
وانزع - بنها .

- هل سناكلها بمفردنا ام نهدىها للجوايش ؟

- لقد اكل الجوايش الآن حتى شبع .

- اننى لا احب ذبح الطيور .

- حسنا . . ساذبحها انا .

ولما فرغ من ذبحها ، القى بها الى نازار وقال :

- هلم اصنع لنا منها وجبة شهية .

فتناول نازار البطة بيد مرتعدة وقال :

- اسمع يا ليوكا . . ان هذا الجوايش اللعين سوف يرسلنا  
للحراسة على ضفة النهر الليلة انها توبة موشكين . ولكنه ارسله  
ليانى اليه بارتق حمر . الى منى يرغمنا على ان نوب فى الحراسة  
من غيرنا .

فقال ليوكا متجاهلا حديثه :

- امسك هذا الطرف من الشبكة يا نازار .

واطاع نازار الامر ، ولكنه استنرد يقول :

- سوف اخبره اننا متعبان الليلة . . او اخبره انت ، انه

يفقد دائما رغباتك سواء كنت على خطأ او على صواب .



فقال ليوكا بصوت حاد :

- ولماذا نهتم بالأمر ؟ لو كنا في القرية لستمتع بوقت صميلا  
مع النساء . لكن الأمر مختلفا أما ونحن هنا ، فما الفرق بين  
وجودنا داخل المخفر أو خروجنا للحراسة على الضفة النهر ؟

- هل تفكر يا ليوكا في الذهاب إلى القرية ؟

- نعم .. في الأجارة .

- ان بوركا يقول ان صاحبك دانايبكا تخونك مع نومشكين .  
فكنشر ليوكا عن أسنانه وقال :

- حسنا .. لنذهب هي وهو إلى الشيطان .

فعاد نازار يقول :

- لقد ذهب بوركا إلى بيتها ذات مساء . وكان زوجها قالبا .  
وهذا وجد نومشكين معها يأكل الفطير . وبعد أن جلس بوركا بركة  
معهما ، انصرف . ولما هو يمر تحت نافذتها سمعها تقول  
لنومشكين : حسنا لقد انصرف هذا الزائر الثقيل . ما رأيك في  
ان نقضى الليلة معي ولا نذهب إلى المخفر ؟ وعندئذ قال بوركا لها  
بصوت مسموع : هذا افضل فلما . .

فقال ليوكا :

- انك تكذب يا نازار .

- أقسم لك انها الحقيقة .

- حسنا .. اذا كانت قد وجدت حبيبا آخر ، فلنذهب إلى  
الجحيم ، ان القرية مليئة بالعداوى الجميلات . وأنا قد ضقت لرها  
بدانايبكا على كل حال .

فابتسم نازار وقال :

- انك شاب محبوب من العذارى يا ليوكا .. لماذا لا تصادق  
الحب مع ابنة المدرس .. ماريانكا .. انها ليست على علاقة مع  
أحد من القرية .

فقطب ليوكا جبينه وقال :

— ولماذا ماريانكا بالذات . ان كل النساء سواء .

— حسنا . . جوب حفظك معها .

— سوف احاول . ولكننى مصر على ان القرية مليئة بالعدائى  
الجميلات .

لم نهض وسار فى طريقه وهو يصفر بشفتيه الى المخفر .  
وكان الحراس قد فرغوا من تناول العشاء وراحوا يتناقشون فيما  
ينبغى ان يقوم بنوبة الحراسة على ضفة النهر بدلا من قومشكين .  
ولما وصل نازار وليوكا ، هتف الجاويش قائلا :

— آه . . هاهو ذا ليوكا . . يمكنه ان يقوم بالحراسة بدلا من  
قومشكين اللئيم . . ولياخذ معه نازار . . وكذلك يمكن ان يصحبهما  
المجوز ابرجوشوف . . لقد نال نصيبه من النوم الليلة .

وقال نازار بصوت خافت

— وانت ابها الجاويش . . الم تتم طول الليل ؟

وضحك رملاؤه الذين سمعوه .

وفى تلك اللحظة تقدم المجوز ابرجوشوف متعبرا الى الغرفة،  
لنقل له الجاويش !

— استعد يا ابرجوشوف للحراسة على ضفة النهر مع نازار  
وليوكا .

وكان ليوكا قد استعد ووضع بندقيته على كتفه، اما الجاويش  
فقد صاح بلهجة امرأة :

— هلم يا اولاد . . اسرعوا بتنفيذ الاوامر .

وقبل ان يرد احد اردف قائلا حشية الا تطاع اوامره !

— لولا ان الضابط سيحضر الليلة للتفتيش ، لما ارسلت احدا  
للحراسة . ولكن . . لا . . لقد توارث الانباء بان ثمانية من التتر  
سوف يتسللون الليلة الى هذه الضفة للاغارة على القرية . . يجب  
ان نكون مستعدين لهم .

وقال المجوز ابرجوشوف لزميله :

- حسنا .. يجب ان نبدأ الحراسة فورا . ان الاوامر اوامرنا  
ولا يسمنا الا الطاعة . هلم .

وفي تلك اللحظة ، سمع الجميع صوت الصياد ابروشكا وهو  
يصيح

- مهلا يا اولاد .. لسوف اذهب معكم .. انتم للحراسة ،  
وانا لصيد الخنزير البري .

## الفصل الخامس

### صرع التنزي

كان الظلام كثيفا عندما مار الصياد المجوز ابروشكا والقوراقيون الثلاثة عباداتهم اوبرية وينادهم على اكتافهم ، في الطريق الى ضفة نهر تيريك ليكنوا في المكان الذي يرقبون منه عصاة النتر الميرة . وكان نازار كارها هذه المهمة ، ولكن لبوكا ظل يحثه حتى اسرعوا الى بقعة على النهر تحيط بها من ثلاثة جوانب نباتات القاب العالية ، وهنا قال نازار :

- مارايكم في هذا المكنن لا .

فقال لبوكا :

- لا داس .. يمكنك ان تبقى هنا ربنا امضى بايروشكا الى المكان الذي تختفي فيه الخنازير البرية .

وقال ابرجوشوف :

- ان هذا المكان مناسب جدا .. اننا نستطيع منه ان نرى دون ان يرانا احد .. ولهذا يجب ان نكن فيه .

وبسط نازار وايرجوشوف همايهما على العشب ، ورفقا عليهما اما لبوكا فقد مضى مع الصياد ابروشكا الى ضفة النهر وهي يقول هاما :

- ان المكان الذى ابتغيه ليس بعيدا .. لسوف امضى لك اليوم  
وقد رابت فيه ذات يوم بعض آثار الخنازير البرية حين جاءت  
لتنشرب .

ورد الصياد هائما :

- انك فتى واسع الحيلة ابها الخطاف .

وبعد مسافة يسيرة ، توقف ليوكا ، ونظر الى الارض ، ثم صقر  
بصوت حافت وقال :

- انها نأتى الى هذا المكان لتنشرب .. انرى هذه الاثان  
الحديثة لحوامرها يا ايروشكا !  
وقال الصياد فى ابهاج :

- بارك الله فيك يا ليوكا .. لا شك ان احد الخنازير  
بيوية فى مكان قريب من صفة النهر .. لسوف ابقى هنا لارقيه  
وعد انت الى زميلك .

وتدثر ليوكا بعباءه جيدا ، وسار عائدا بمعمرده الى حيث ترك  
زميله .

وقال لنفسه فى انشاء السر :

« من يدري .. فلعل بعض رجال النثر يرقبوننى الان ، او  
لعلهم محتبسون فى مكان ما على هذه الضفة .

وتنبه من افكاره على طنينى مفاجئه فى الماء ، واذا بخنزير  
برى كبير ينطلق هاربا فوق صفة النهر ليحتفى بين نبات الضارب .  
واسرع ليوكا مصوبا بندقيته ، ولكن الخنزير البرى اختفى بين الغاب  
قبل ان يطلق عليه ليوكا الرصاص . وبصق الشاب على الارض فى  
ضيق واستنكار ثم استأنف السير ، حتى اذا اقترب من المكان  
ارسل صغرا حافنا ردا عليه احد زميله .

وكان نازار قد رقد على عباءته واستغرق فى النوم . اما  
ايروشوف الذى كان متربعا فى حطته « فقد تزحزح قليلا  
ليفسح مكانا لليوكا بجواره . ثم قال له :

- ان هذا المكان مناسب جدا ، وانا مستريح ليه .. هل ذهبت  
بأيروشكا الى مكان الخنازير البرية ؟

- نعم .. وقد هربت مني أحدها أثناء مودى .. ولا شك انه  
نفس الخنزير البرى الذى رايتك اول امس . ولعلك سمعت طنين  
اللاء وهو بهرب !

- نعم .. وقد عرفت فورا السبب ، وقلت لنفسى : ان ليوكا  
قد فاجأ خنزيرا برياً .

لم تدرك فى مهابته وارذف قائلا :

- لسوف انام قليلا .. عليك ان توقظنا عندما يصبح  
الدبك . وبممكنك بعدها ان ننام لنقوم نحن بالحراسة . ام لعلك تريد  
ان ننام اولاً ؟

- لا .. نم انت .. فأننى اشعر بالرغبة فى السهر الآن .  
وكانت ليلة حارة كثيفة الظلام ليس فيها نسمة هواء . وكانت  
النجوم تلمع فى الأفق البعيد فى جانب من السماء .. اما الجانب  
الأخر الأكبر .. فكان محجوباً بسحب داكنة زادت من ظلمة  
الليل .

وظل ليوكا ساهراً متحفراً بضع أصمعه على زناد الندفقة كلما  
لح شيئاً يتحرك وسمع حركة خفيفة .. ومرت الساعات بطيئة ،  
وبدا الجو يبرد والهواء يمتلىء رطوبة .. وتحركت السحب بعيداً  
من وجه السماء ، كاشفة من فم صغير فى هزيعه الأخير .. وكان  
تقوده الشاحب المرتعش ينساب فى هدوء على صفحة الماء وعلى  
الصفى النهر .. ومن الأفق الشرقى البعيد بدأت طلائع العجرتسلل  
فى بقاء شديد .. وفتح نازار عينيه وتمتم بكلمات غامضة لم عاد  
واستغرق فى النوم . وشعر ليوكا بمزيد من الضجر . فنهض وأخرج  
لخنجره من الفخذ وراح يشدب مود غاب ليصنع منه عصاً .. وكانت  
أفكاره تحوم حول مصابات التتر المفيرة .. لقد امتد رجال هذه  
المصابات أن يقيموا - فى جراحة عجبية - على قرى القوزاق دون  
هيلة بما ينالهم من قتل ومطاردة شديدة . ومن بدوى .. فلمل

احدهم الآن يصير النهر فى مكان آخر .. وان ليوكا ليمد بصره الحاد هنا وهناك .. ولكنه لم ير شيئا وارتدت افكاره الى القرية .. الى حبيته دانايا .. ثم خامره احساس بالمرارة والغضب .. وازدادت طلائع الفجر القصبة اقترابا . وانتشرت على صفحة الماء تباعير الصباح الباكر .. وطارت هنا وهناك من اعالي الشجر بعض افراخ النسور .. وصاح احد الديكة مؤذنا بظهور يوم جديد وبعده ذلك آخر .. لم ثالث ..

وقال ليوكا لنفسه : لقد آن ان اوقظ زميلى .

وكان قد فرغ من شديب عود الغاب ، وشعر باجماعه ثقل ، واستدار ليوقظ زميله ، وعندئذ سمع - او حيل اليه انه سمع - طشينا فى الماء .. واستدار مرة اخرى بسرعة وامعن النظر الى الافق البعيد عبر النهر . وراء التلال .. هناك حيث كان الصباح يرحف وراء الثمالة الباقية من القمر . وراى الشاطئ الآخر من النهر : وجدع شجرة بطمو على سطح الماء وحيل اليه برهة انه هو الذى يتحرك ، على حين ثبت جدع الشجرة وماء النهر فى مكانهما . ولكنه ركر نظرائه على الجدع الاسود الذى كان يمتد منه غصن صغير : لقد بدا له ان الجدع بطمو بطريقة غير طبيعية .. انه يتحرك نحو الشاطئ الذى يقف فيه ليوكا بدلا من ان يمضى مع تيار النهر . ومد عنقه وراح يرفب بامعان شديد . وفجأة خيل اليه انه راى ذراع رجل تبدو تحت الجدع ، ومن ثم همس لنفسه « هذه فرصة سانحة اقتل فيها مفردى تنريا من رجال العصابات » واعدبندقيته وصوبها ووضع اصبعه على الزناد ، قال لنفسه « انتى لن اوقظهما ولكن قلبه كان يحقق بشدة وهو يرى الجدع يقترب خفيضا وكان افعى توشك ان تنقض عليه وبدل ايوكا جهده ليمتلك زمام اعصابه انه اذا نجح فى قتل تنرى دون مساعدة من احد فسوف يغدو بطلا فى انظار اهل القرية جميعا .. ومن يدري .. فربما منى وساما ومكافاة وترقية . ولعلق شفتيه وركز نظاره .. وراى من وراء الجدع راسا « انه راس تنرى فعلا .. حسنا .. عندما يرفعه مرة اخرى فسوف يطلق ليوكا عليه النار .. وحانت الفرصة .. »

وتتم لبوكا مصارات انهال ، واطلق النار ، واختفى الراس بقوة تحت الجلد .. وصاح ابرجوشوف وهو ينتصب جالسا :

- امسك به .. امسك به فل ان يفر الى الغابة .

وقال لبوكا بحدة :

- تبه يا ابرجوشوف .. انه ليس خنزيرا برياً ، وانما تنرى من رجال المصائد .

وقال بارار الذي نقطه دوى لطلق النارى :

- ماذا نقول ؟ ماذا نقول ؟

- اقول اننى قتلت تنربا كان بنوى التسلل البنا عبر النهر .

وفرك نازار عينيه وعاد يردد كالبيضاء :

- قتلت تنربا ؟ قتلت تنربا ؟

ولم يجب لبوكا ، وانما اعاد حتمو بندقته ، وراح يرقب الحذاء والذراع المعلقة به والراس الذى كان يطعم ويغوص فى الماء .

وعاد نازار يقول فى ذهول :

- هل قتلت تنربا حقاً ؟ وبمعدك ؟

- نعم ؟

- محال .. محال .. لاشك ان بندقتك انطلقت من تلقاء نفسها .

- قلت لك اننى قتلت تنربا .. اطلقت الرصاص على راسه

وهو يتسلل ساحا البنا .. انظر الى هذا الجلد الطافى .

وفرك ابرجوشوف عينيه وقال :

- كفى سخريه منا .. ان ماتقوله مستحيل .. ابن هذا التنرى

الزغوم :

ولما نظر الى حيث اشار لبوكا .. فعمم نازار قائلا فى خروفا

- ويحنا .. لاشك ان زملاءه مبعرون علينا الان .

لهم اخبر بندقبه ..









واردت قائلا:

- ان هذا النهر كان يقوم بعملية استكشاف ولا ريب ...  
ولعل زملاءه قد عبروا النهر في مكان آخر .  
وفك ليوكا حزامه وبدأ يخلع ستره .  
وهنا قال له ابرجوشوف:

- ماذا تفعل ايها الاحمق المنهور .. انك اذا خرجت من هذا  
المكان فسوف تنمرق برصاص زملاء هذا القبيل .. اسرع  
بانازار الى المحضر وكن حريصا وابعد عن مصة النهر بصلو  
الامكان ..

فقال بانازار غاضبا:

- اتريد مني الذهاب بمفردي ؟ لماذا لا تذهب انت ؟  
وكان ليوكا قد خلع ستره وسار نحو حافة الماء . ولكن  
ابرجوشوف صاح به قائلا:

- لا تتقدم باليوكا .. كن على حذر . ان الجنة توقفت في مكان  
فضحل من الشاطئ .. انتظر حتى ياتي بعض حراس المخفر ...  
اسرع بالذهاب بانازار ، هم تخاف ! .. ليس هنالك ما يدعو الى  
الخوف ، اننى اؤكد لك .

وقال بانازار:

- ليوكا .. اسرع الان .. اخبرنا كيف حدث هذا ؟  
وكان ليوكا قد غير رايه في تلك اللحظة ، فلم يمش الى حافة  
الماء .. واتما استدار عائدا وهو يقول لزميليه:

- اسرعا معا الى المخفر . وسوف ابقى هنا للحراسة ، واخبرا  
حراس المخفر ليرسلوا رجالا على متون الجياد حتى يمكننا اللحاق  
بباقى افراد المصابة اذا كانوا قد عبروا النهر .  
ودوب ابرجوشوف واقفا وقال بسرمة:

- هذا ما قلته .. انهم الان على هذه الضفة ويجب ان نلحق  
بهم قبل ان يفيروا على القرية .. هلم تسرع الى المخفر .

ثم أردف قائلا وهو يهم بالأسراع مع نازار الى المخفر هو  
الغابات التي تفصل النهر عن مراكز الحراسة !

- خذ حذرک يا ليوكا والا فاجاك رجال العصاة ودبحوك !

فقال ليوكا وهو يختبر بندقيته :

- اذهب انا ساعرف كيف احافظ على نفسى .

وجلس فى المكن يرهف السمع والبصر . وبدا القلق يساوره  
بعين قاس فى خياله المسافة التى تفصل النهر عن المخفر . كان  
يخشى ان يهرب رجال العصاة قبل ان تصل النجدة من المخفر .  
وكان يعد بندقيته للانطلاق فورا حين يلمح واحدا منهم على الضفة  
القريبة او البعيدة . . ولكن شيئا واحدا لم يكن يشغل باله .  
وهو التفكير - مجرد التفكير . . فى آتة قد يصاب فى مقتل !

\*\*\*

وازداد ضوء الفجر . . وبدأت جنة الثرى تبدو بوضوح وهى  
تأرجح على سطح الماء الضحل . . ونجاة سمع حفيفا وراة ، وراى  
مؤوس اعواد القاب الريشية تتحرك ، فشرع بندقيته وصوبها .  
ولكنه سمع صوت الصياد المجوز ابروشكا وهو يهتف به  
قائلا :

- لا تطلق النار على عمك يا ليوكا .

وقال ليوكا وهو يرى ابروشكا يبرؤ من بين امواد القاب :

- لقد كدت اقتلك بحق السماء .

- وماذا فعلت فى اثناء غيبتى . . هل صدت شيئا .

ودقف ليوكا متحفرا ، مختالا ، يقول :

- نعم . . صدت حيوانا بربا خطيرا .

وكان الصياد المجوز يحمل فى الجثة الطائفة فى الماء  
الضحل ، على حين استطرد ليوكا يقول :

- كان يسبح وراء جذع شجرة . . ولمحته . . انظر . . ميراريل  
الرفاء ، وبندقية كما يبدو الا تراه !

وقال الصياد المجوز بصوت حازم حزين النبرات :

- اننى اراه طبعاً .. لقد قتلت شجاعاً .

- نعم .. لاننى لو لم اقتله لقتلنى .. ان نازار وابرجوشول  
للى طريقهما الآن الى المخفر لاحضار بعض زملائنا .. لمن المحمل  
ان يكون رجال العصابة فى طريقهم للاغارة على القرية الآن .

وفى تلك اللحظة سمع الاثنان اصوات رجال راكبين من المخفر  
وهم يسرعون نحوهما .. وقال ليوكا هاتفاً :

- هل احضرت الطوق معكم ..

وقال احد رجال المخفر حين وصلوا الى المكان :

- انك فتى بارع باليوكا .. احضره الى الشاطيء .

وبدا ليوكا يخلع ملابسه دون انتظار لامداد الطوق ، ودون ان  
يكف لحظة واحدة من النظر الى ضحيته .

وصاح الجاوبشى محملاً :

- انتظر الطوق يا ليوكا .. ان نازار آت به .

وقال اخى :

- لعله لا يزال حياً باليوكا .. خذ حرك منه .

وقال ليوكا وهو يقفز الى الماء .

- اننى لست طفلاً .

وصرعان ملأح بضرب الماء بدراهمه قى قوة .. حتى اذا وصل  
الى مكان الجنة فى الماء الضحل ، راح يهرع وهو يهتف قائلاً :

- انه ميت تماماً .. لقد أصيبته قى راسه .

وكان الثرى القليل مردياً سراويل ترقاء وتعبها ومسرة  
وكان قد ربط فى اعلى جلع الشجرة « بندقيته ولنجره » .

ولما عاد ليوكا بالجنة الى الشاطيء ، التف لملاؤه حولها ...  
وقال احدهم :

- لقد احسنت باليوكا .. ما أبرعك .

وقال آخر :

— ما اتد امتقاع وجهه .

وقال ثالث :

— لاشك ان هذا النثرى كان يحاول استكشاف المنطقة قبل  
الغارة زملائه عليها ..

وقال الاول :

— وهذا يعنى انه كان يمنع بشجاعة فائقة .

— انظروا الى راسه الحليق ولحيته المصبوغة بالحناء ..

— وانظروا الى سترته .. انها جديدة .

وقال الجاويش وهو يعلب بين يديه ببندقية وحجر النثرى  
القبيل :

— اسمع يالوكا .. يمكنك ان تحفظ بالخنجر والسترة ..  
وسوف اتذكرك ثلاث روبلات فضية نمنا للبندقية .. اننى اريد  
الاحتفاظ بها تذكرا .

وصمت ليوكا .. وكان وجهه ينم على ان هذا المرض  
لا يرضيه ، الا انه لم يستطع ان يعترض ولكنه رآى ان يستفيد من  
الموقف ..

فقال الجاويش :

— حسنا .. وارجو بهذه المناسبة ان تأذن لى بالعودة الى بيتى  
للمدة يوم او يومين .

فقال الجاويش وهو لا يزال يقلب البندقية بين يديه :

— طبعا .. طبعا .. يمكنك ان تلعب .

ثم اردف قائلا لبعض رجاله :

— احملوا هذه الجثة الى الفناء الخلفى للمخفر ، وقسموا كوكها  
بعقر الاغطية لحمايتها من الشمس . فلاشك ان اهله سيأتون لدفع  
الفدية واستردادها .

وقال احد الحراس :

- ان حرارة الشمس لم تشتد بعد -

وقال آخر :

- وكيف يكون الحال لو تسلل ثعلب ونهشها ؟ -

ورد الجاويش قائلا :

- اذن يجب ان يقوم احدكم على حراستها . انهم سيأتون لدفع

الفدية ، ومن الافضل ان يستلموها سليمة .

ثم اردف قائلا ليوكا في مرج :

- عندما نظفر بالعدنة باليوكا ، عليك ان تسمى زملائك في المخفر

دنا كاملا من الفودكا .. مارايك ؟ -

وقال كثير من الحراس :

- نعم .. هذا هو التقليد المتبع .. ما أسعد حظك يا ليوكا

لأ قتلت تتريا بمفردك وانت في هذه السن ! -

وقال ليوكا :

- من ذا يشتري الخنجر ؟ أرجو ان يدفع المشتري ثمننا معقولا

له وللراويل ايضا .

واشترى احد الحراس الراويل بثلاث روبلات . واشترى

آخر الخنجر بثمن دين من الفودكا .

وقال ليوكا :

- الآن استطع ان اشترى لكم من القرية دنا كاملا من الفودكا .

وقال الجاويش بلهجة امرأة :

- هلم احملوا الجنة الى فناء المخفر .

ولما تردد الحراس في اطاعة الامر ، صاح ليوكا :

- ماذا تنتظرون ايها الاخوان ؟ احملوها ..

وعندئذ تقدم الحراس ، مرغمين ، لاطاعة الامر ، وكان ليوكا

هو رئيسهم المباشر .



وقال نازار وهو يفحص رأس الثورى القليل

- لقد أصيبته فى جانبى اليمين . ولكن الوجه سليم . . .  
أهله لن يجدوا مشقة فى التعرف عليه .

ولم يقل أحد شيئا ، وإنما لهم الصمت على الجميع وهم فى  
طريق العودة الى المخفر حاملين جثة الثورى .

وارتفعت الشمس قليلا . . وظل الهواء منمشا فى تلك الفترة  
من الصباح . . وكان الندى لا يزال يلمع على الأشجار والنباتات  
ولكن الحراس ظلوا يسرون فى صمت حتى قطعهم ليوكا وهو ينظر  
بتعجب الى جسم الثورى .

- لقد كان هو أيضا رجلا شجاعا .

ورد عليه أحد زملائه قائلا :

- نعم . . ولو كان هو الذى لحك أولا ، لما أمكنك أن تسمع  
هنا الآن .

ومرة أخرى نхим الصمت على الموكب . وما هو كثر نعرف ساعدا  
مضى وصلوا الى المخفر حيث وضعوا الجثة فى الفناء الخلفى -  
وسمروها ببعض الأغطية ، وخصصوا لها حارسا .

واتطلق ليوكا وصديقه نازار فى الطريق الى القرية ميرالفايت  
التي تقوم بينها وبين المخفر .

وقال ليوكا بصوت أجش :

- سأجعل حبيبتي تعرف الآن من هو الجنير تحبها .

ولوى نازار شفتيه وقال :

- لاشك أنه البطل الذى قتلَ تنريا بمفرده .

- طبعاً ان تلحبي الى بيتها بآنازار دون ان تخبرها اننى أرسلتك  
لأنك كان زوجها غائبا فابصر واخبرنى .

قلمق نازان كسنبه وقال :

« وهل مشتركنى معك فى شهرتك ؟ »

« قلما .. قلما .. اذا لم نقض الليلة شهرة واحدة ! كفى  
العمل ! »

ولما وصلا الى القرية ، شرعا بشربان الخمر حتى لقتا الصوابين  
وهكذا مضى الليلة فالتبين عن وميهما .»

## الفصل السادس

### بى عن سكن

بعد يومين من الأحداث السابق ذكرها : وصل إلى قرية  
توفولنسك القورافية كنيستان من فرقة المشاة بالجيش القوزاقى  
وفى ميدان القرية : اجتمعت المركبات وجيادها وحاجيات الجنود  
وأخذ الطهاه يحفرون أماكن لأضرام النار ويجمعون الوقود لأعداد  
وجبة العشاء على حين انشغل الجاويش بدفع مربيات الجنود . وراح  
عدد من هؤلاء الجنود يقيمون الدعائم لإنشاء مرابط للجياد . وعلى  
جانب من الميدان ، تراكت صناديق الذخيرة ، وعلى الجانب الآخر  
وضعت الأوعية الصحية الخاصة بظهور الطعام ، وتوزيعه ، وكان  
يشرف على هذه العمليات كلها قائد الكتبتين ، ومساعد الضابط ،  
وصف ضابط يدعى أونيزيم منها لوفتش .

وكان أهل القرية ينظرون إلى هذا كله فى غير رضى . ولكن  
الجنود انطلقوا بعد أن تناولوا مربياتهم ، فى شوارع القرية وميادينها  
غير حافلين برضاء الأهالى أو بسخطهم . وكان كل جندى أو كل  
الثنين معا يدخلان هذا الكوخ أو ذاك ، ويقارلان النساء ، ويسطغان  
أيديهما بالمال والحلوى ، وهكذا لم يكن يخلو فناء كوخ من بعض  
الجنود الصاخين العاشقين على حين كانت ضحكاتهم تختلط بصباح  
النساء اللاتى كن يرفضن السماح لهن بالإقامة بينهن ، أو بتقديم

طيريد الجنود من ماء أو قلمام . وكان الأطفال يختبئون هناك ويحملون في وجوه الجنود بنظرات يملؤها الخوف . أما الرجال المجازل ، فقد جلسوا امام الاكواخ ينظرون الى ما يجري في حرد واستسلام .

واستطاع اولنين - الذي كان قد مضى عليه ثلاثة اشهر ضابطا متظفرا بالجيش القوقازي أن يجد من بدله على احسن بيت في القرية ، وهو بيت المدرس العسكري ، ايليا فاسيليفتش . والنا الحساء ماريانكا وزوج المجوز اولنيكا .

وقال فانيوشا وهو يدخل فناء البيت مع سيده اولنين ، راكبين جواديهما بعد مسيرة خمس ساعات متواصلة :

- ترى ماذا سيحدث لنا في هذه القرية يا اولنين ديمتري اندرشي ؟

ونظر اولنين في عطف الى تابعه . . لم ابسم وقال :

- كل خير طبعاً .

وكان اولنين قد تغير الى حد كبير . . لقد بدا بعد ثلاثة اشهر من الالتحاق بالجيش وكأنه شاب آخر . . شاب ممثله قوة وفتوة . . متوهج الوجه ، ملوح البشرة ، له شارب ابيض ، ولحية صفيرة تضفي عليه مزيجاً من سمات الرجولة .

وقال فانيوشا وهو ينحن لبضع الحقاتب على الارض :

- هذا هو رايك لانك لاتعرف شيئاً عن هؤلاء الناس . اتهم لا يجهلون نحن الروسين . . وان كل غريب ينفذ الى بلادهم هو موضع الشك والارباب . . اننا لم نستطع حتى الان ان نظفر بكلمة منهم .

وقال اولنين وهو لا يزال ينسم :

- كان يجب ان نتحدث اولاً الى شيخ القرية .

- اتنى لا اعرف مكانه .

وقال اولنين وهو ينظر حوله :

- ولكن . . ماذا بشر سخفك الان يا فانيوشا ؟

- كل شيء .. اللعنة عليهم .. ذهب صاحب البيت كما قالوا  
ليصيد السمك .. وزوجته العجوز خبيثة كالنسيطان .. وليكن  
الله في مونا عدها .

ودضع الشاب رأسه بين يديه وقال :

- اننى لا ادرى كيف ستمشى في هذا المكان اللعين .. اثم  
اموا من التتر .. بل ان التتر يعتبرون من اشد الناس حضارة  
بالنسبة لهؤلاء الهمج .

فقال أولئين دون ان يترجل من جواده !

- اذن فانت لاتشعر هنا بالامن والراحة .

فهم فانبوشا كتفيه كأنما يرى ان مثل هذا السؤال لا يحتاج الى  
اجابة . وشغل نفسه بالعناية بالحواد الذي ترجل عنه سيده ، بينما  
عاد أولئين يقول ببساطة :

- اذن فالتترى يعتبر رجلا متحضرا .. بالنسبة لهؤلاء الهمج

وفانبوشا ..

فقال الشاب فى عناد وغضب :

- نعم برغم سخووتك منى .

- لاداعى للغضب وفانبوشا .. انتظر حتى اتفاهم مع اصحابي

هنا الكوخ . لسوف يتم كل شيء على خير ، واؤكد لك اننا سننقضى  
هنا اباما او شهورا سعيدة .

ولم يجب فانبوشا ، وانما هن رأسه أسفا ، وراح بشيع سيده  
المتجه الى باب الكوخ بنظرات كلها الاشفاق والراء . وكان أولئين  
يعامل فانبوشا كصديق ، وليس كتابع . ذلك انهما نشأ معا متلا  
اكتافا غلامين فى الرابعة عشرة . ومن لم كان شعور كل منهما نحو  
الآخر اقرب الى الصداقة منه الى شعور السيد نحو التابع  
او العكس .

وصعد أولئين فى الدرجات القليلة المؤدية الى باب الكوخ الاول

- لان الفناء كان يحتوى على كوخين كبيرين - ونجح الباب قليلا .  
ووبنت ماريانكا التى كانت جالسة مرتدية ثوبا متربيا خفيا .  
والنصقت بالجدار واخفت وجهها بكم ثوبها وراحت تنظر فى خونه

وجرع الى اولين الذين كرع يتقدم الى الغرفة متوددا وهو يقول  
لنفسه !

- ما أجملها ! ولكن القربة مينة ولا شك بالعداري الجميلات  
من هذا الطراز .

وكانت المجوز اوليكا مستديرة بظمرها الى الباب تكس  
الأرضية وهي لا تردي ابضا غير لوب واحد من نسيج خفيف ، شأن  
لساء القوزاق أثناء وجودهن داخل البيوت .

وقال اولين بصوت مهذب حين رآته السيدة المعجوزا !  
- طاب يومك بالامام .. لقد جئت لاتحدث معك عن السكنى  
هنا .

فاستدارت المرأة المعجوز اليه بوجهها الذي كان محتفظا بلمحات  
من الجمال الدابر لم قالت بصوت حاد :

- ماذا تفعل هنا ؟ هل جئت لتسخر منا ، لسوف اعلمك كيف  
تسخر منا ، ولتأخذك الطاعون .

وكان اولين يظفر كما قيل له - ان جنود الجيش القوزاكي  
الذي ينتمي اليه هم دائما موضع الترحيب والحقاوة من سكان  
القرى القوزاقية ، ولهذا فوجي ، بثورة المرافلية واستنكارها لوجوده  
في بيئتها .. ولما حاول ان يؤكد لها انه بنوي ان يقيم في بيئتها  
بلاجر ، ابت المرأة ان تستمع اليه او تفاهم معه ، وانما صاحته  
قائلة :

- ماذا تفعل هنا ؟ ومن ذا يريد ان يستقبل وباء مثلك في بيئتها  
انتظر حتى يعود زوجي وسوف يعرف كيف يلقي بك الى الشارع  
.. اتنا لا نريد تقودك ، أم لملك تظن أننا لم نر نقودا من قبل ..  
ليكن التتر يمزقونك اربا .

وقال اولين لنفسه : يبدو ان قاتبوشا على حق في مخاوفه  
ولا شك ان التترى رجل متحضر اذا تورن بهذه المرأة القوزاقية  
الكثيرة .

ثم مضى الى خارج الكوخ وشتم المعجوزا اولتيكا تبعه .. ولما  
هو يقترب من باب الكوخ اذا بماريانكا تنفلت بجواره ، وهي لاتزال

قرى نوبها الأرجواني الرقيق ، وبدها على وجهها لم تهبط الفرجات  
القليلة بسرعة ، ثم تتوقف في الشرفة المؤدية إلى الماء ، لم يستدير  
ونظر إلى الشاب أولتين بعينين ضاحكتين .. ثم تسرع وتختفي  
وراء ركن الكوخ .

وكان لحطراتها الرشيقة . ونظراتها الضاحكة ، وجسمها اللين  
تحت نوبها الأرجواني الرقيق . أكبر الأثر في نفس أولتين ومن ثم  
عاد يقول لنفسه « ما أجمل هذه العذراء .. »

ولما وصل إلى فانيوشا .. قال هذا له وهو لا يزال منسجولا  
بالحشائب :

- ترى أأنا الفتاة تشبه العرغال البري .
- لم أرسل ضحكة وأردف : مائلا .
- بل هي أشبه ما تكون بالفارس التي لم يروضها أحد !

\*\*\*

وفي ساعة متأخرة من أصل اليوم نفسه . عاد رب البيت من  
رحلة صيد السمك فلما علم أن الساكن الحديد سوي أن يدفع إيجارا  
لسكنائه ، هذا من ثائرة زوجته . واتفق مع فانيوشا على قيمة  
الإيجار .

وسرعان ما استقرت الأمور في الكوخ . لقد انتقلت الأسرة من  
الكوخ الأمامي إلى الكوخ الثاني . الخلفي ، المخصص لفصل الشتاء ،  
باركة الكوخ الصيفي لأولتين وتابعه . نظم إيجار قدره روبلات ثلاث  
في الشهر . وبعد أن أصاب أولتين بعض الطغاء . قام لم يسرع  
وفي نوادر المساء استيقظ واغتسل وارتدى ملابسه وتناول  
العشاء ، وأشعل سيجارة ، وحلّى حوار التامد . نظر إلى الطريق  
وكان الجو قد بدا بلطف . وظلال الكوخ تتراعى عبر الشارع المضي  
لتصل إلى أسفل الكوخ المقابل . وأخذت النساء النعشة تتهاوى  
وخم السكون المحقق على القرية بعد أن استقر الخنود في مساكنهم  
وكان معظم الرجال والنساء لم يعودوا بعد من الحقول والغابات .  
كان مسكن أولتين يقع في نهاية القرية على وجه التقريب ..  
ومن ثم كان يسمع بين الحين والآخر طلقة ناربة من بعيد ، عبر نهر

فيريك وسهول كوميسك التى عبرها فى رحلته . وكان يشم  
 بتمام الرضا بعد هذه الشهور الثلاثة التى عاشها فى هذا الجو  
 العسكرى . لقد استرد خلالها شبابه الذى كان يضيع فى متاهات  
 حياته المترفة ؛ واسترد مع الشباب قوته وقوته .. وتذكر فى  
 ابتهاج المارك التى خاضها مع الجيش الفوقازى ، وكيف استطاع  
 ان يواجه الاحطار كائى جندى مدرب باسل ، وبذلك امكنه ان يشبع  
 جدارته للالحدق بالجيش الفوقازى المشهور . وحبل اليه ان ذكريات  
 حياته فى موسكو قد اصبحت بعيدة بعيدة ؛ كأنها ذكريات حياة  
 انسان آخر لامت اليه سبب . لقد انتهت حياته القديمة تماما  
 لتبدأ حياة جديدة ليس فيها اخطاء او نزوات .. انه الآن انسان  
 جديد مع اناس جدد .. انه الآن يستطيع ان يبني حياة جديدة  
 بفخر بها هو وابناؤه من بعده .

ونظر الى الفلمان الذين كانوا ياصبون « النحلة » فى ظلال الكوخ  
 ثم عاد ينظر الى غرفته الواسعة الرحبة ، وتهد فى ارنياح ..  
 انه يفكر فى مدى السعادة التى سينعم بها اذا هو استقر فى هذه  
 القرية العزاسة الرائعة .. وار نظراته لتتند الى الجبال .. الجبال  
 المتوجة قممها بالثلوج .. ما اعظم الطبيعة دارومها .. ان حياته  
 الجديدة قد بدأت .. وانه لجد سعيد بها .

وسمع الفلمان ينشدون فجأة بأصوات جماعية ؛  
 انه ودع زوجته ..

وشرب كأسه الى آخرها .

ان الصياد ابروشكا ودع زوجته .

وباعها من اجل كأس من الخمر !

ورأى اولين الفلمان يسرعون نحو رجل عجوز ضخم الجسم  
 يقترب فى الشارع وهم يرددون :

ان الصياد ابروشكا يباع زوجته .

وكذلك باع خنجره ..

من اجل كأس من الخمر .



وكان المجوز يروشكا عائداً من رحلة صيد وقد حمل بندقيته على كتفه ، وتدلّت من حزامه بضع بطات برية .. وكان يرد على الفلمان وهو يلوح بلترابه وينظر الى النوافذ على الجانبين ، قائلا بصوت ينم عن الاستياء برغم تظاهره بعدم الاهتمام :

- نعم بالولاد .. كان علدا على ان ابيع زوجتي المجوز بكاس من الخمر .

ودهنى أولئين لتصرفات الفلمان نحو الرجل المجوز ، ولكن دهنه كانت اعظم حين رأى جسم الصياد الهرقلى ومايل عليه من قوة وهزم ، ولم يسه الا أن يناديه قائلا :

- ها ايها الصياد .. ايها القوزاقى .. تعال هنا .

ويوقف المجوز وتطلع الى النافذة ثم قال وهو يرمع قلنسوته من راسه الحليق :

- طاب مسألك يا صديقى المحترم .  
واقترّب من النافذة واردف قائلا :

- آتهم يسخرون من رجل عجوز ، ولكن هذا لا يهم .. فهم ليسعدوا قليلا بالعبث مع رجل عجوز .  
وكان صوته قويا وهو يردف قائلا :

- هل انت القائد الحديد هنا ؟

- لا اثنى ضابط منطوع فقط . ولكن من اين جئت بهذا البك البرئ ؟  
- هذه البطات الثلاث صدها فى الغابة .... ولم اجد غيرها .

ثم اخذ منها بظنين وقدمهما الى أولئين قائلا :

- ارجو ان تقبل هذه الهدية منى .. ويبدو انك شارب محب الصيد .. اليس كذلك ؟

- بلى .. لقد صدتا فى احدى المواقع الحربية اربع بطات مفردى .

فقال الصياد بلهجة لا تخلو من التهكم :





- اربع بطات دفعة واحدة ؟ انك تحب الشراب كذلك ؟ ما رايك  
فى خمرنا القوزاقية ؟

- ماذا نظن بى ؟ اننى طبعاً احب الشراب .

- آها .. انك شاب رائع كما يبدو .. لسوف اكون صديقاً  
وقبالك .. ما رايك ؟

- اذن . ادخل .. وسوف نشرب معا بعض خمركم القوزاقية  
هذه .

- اننى ارحب بهذا .. ولكن يجب اولاً ان نفل هذه الهدية !  
وكان واضحاً من سمات وجه المجوز انه احب اولئين ، وانه  
ادرك سرعة ان فى مقدوره ان يطمع بين الحسن والاحمر ببضعة  
كوديس من الخمر بلا معال .. ولهذا اصر على ان يقدم البعلتين  
هدية لأولئين .

ودخل المجوز الكوخ ، وراح يتبادل الحديث مع اولئين حتى  
اقبل فانبوشا ونظر بر دهشة وامتعاض الى هذا الزائر الغريب ،  
ولكن اولئين نادره قنلاً :

- اذهب يا فانبوشا واشتر لنا بعض الخمر من صاحبة البيت  
واحضرها البنا هنا .  
وهنا قال الصياد المحور لفانبوشا :

- دعهم يقدموا لك الخمر من الدن الذى فتحو حديثاً . ان  
لديهم احسن خمر فى هذه المنطقة . ولكن لا تدع لهم اكثر من  
للاثى كوباً للقدح الواحد .. لان هذه المرأة المحوز بسرّها جداً ان  
تحدث السكان الحداد وتبهمهم الخمر بأسعار خيالية .  
ثم همس لأولئين قائلاً بعد انصراف فانبوشا :

- ان قومى هؤلاء حمقى جداً . انهم ينظرون اليكم ابها  
الروسيون على انكم لستم من بنى البشر .. انكم فى نظرهم اموا  
من النثر ؟ وهم يسمونكم بالروسيين الكثرة . اما انا ، فالى انظر  
اليك كخندى ناسل .. وكرجل لك زوج وجسد ومبادئ كائى  
رجل اخر . الست على حق ؟ ان قومى هنا يكرهونى لاننى لحي

الخاص جميعا بلا استثناء .. اتنى رجل مرح . نعم .. اتنى ابروشكا  
للصباذ يا صديقى العزيز .  
ثم ربت بقوة على كتف اولنين .

\*\*\*

كان فابوشا فى حالة معنوية رائعة بعد ان استقرت الامور .  
وبعد ان نال قسطه من الراحة ، وبعد ان جعل حلاق الكيبة يخلق  
له ذقنه . وقد اسرع بتنفيذ اوامر سيده فاخذ زجاجتين فارغتين ،  
وانطلق الى ربة البيت العجوز وقال لها بصوت رفيع ليكتسب  
مودتها !

- طاب مساؤكم ايها الناس الطيبون . لقد ارسلنى سيدى  
لاشتري منكم بعض النبيل الاحمر .. فهل تكرمونا ايها الناس  
الطيبون !

ولم تقل المرأة العجوز شيئا . وكانت ماريانكا واقفة امام مرآة  
تعصبي راسها بمندبل ابيض . ونظرت الى فابوشا دون ان تقول  
شيئا ايضا .

وعاد الشاب يقول وهو « يتحلى » بالنقود فى جيبه :  
- لسوف ندفع لكم بخاء ايها الناس المحرمون . حاملونا  
بكرم وسوف نعاملكم بكرم اكثر ..  
وقالت المرأة العجوز فى النهاية :  
- ما هى الكمية التى تريد ها ؟  
- ملء هاتين الزجاجتين .  
فقال العجوز اولتيكا لانتها !

- اذهبى واعطه ما يريد يا حبيبى .. اعطه من الدن الذى  
لنحتاجه اخرا .

والنقطت ماريانكا مفاتيح المخزن ، وانصرفت بتبعها لفابوشا .  
ولما مرت بجوار نافذة اولنين ، اشار هذا اليها وقال للصباذ  
ابروشكا !

- من هذه الشابة الحناء يا صديقى ؟  
وقم ابروشكا بعينه « ولكن اولنين برفقه ، ثم قال هامسا  
وهو يظن من النافذة !

- انتظر لحظة -

لم رفع صوته وقال :

- ها ماريانكا يا حبيبتي .. الا تصيبيني ؟ اننى رجل باسل ! -

قامت ماريانكا سيرها بعد ان الفت عليه نظرة بطيئة جعلته يستعرد هاتفا !

- بادلبنى الحب وانا اجعلك اسعد فتاة فى القرية .

ثم عاد يغمز لأولتين ويوجه اليه نظرة متسائلة ويردف قائلا :

- اننى كليبي .. اننى رجل .. اننى اسد ..

وتفجأة همس قائلا :

- وهى ملكة متوجة على عرش الجمال -

وقال له أولتين !

- انها لكذلك .. دعها تات الينا ..

فهمز ابروشكاراسه وقال :

- لا .. انها مستزوج ليوكا .. وهو شاب قوزاقى باسل -

انه الشجاع الذى قتل بمفرده تنريا من رجال العصابات فى ذات اليوم . دمها له وسوف ابحت لك عن فتاة لا تقل جمالا عنها ، فتاة فولدى الحرير وتزين بالفضة . وانا اذا قلت شيئا ، فانى اكون قائما عند قولى .

فرد أولتين عليه قائلا :

- اتحدث هكذا وانت فى مثل هذه السن . انها لخطيئة

البرى !

فقال المعجوز مستنكرا :

- خطيئة كبرى ! ابن الخطا فى هذا ! هل من الخطيئة ان انتظر

الى فتاة جميلة ، او احب فتاة جميلة ، او اخرج للزفة مع فتاة جميلة ! من اين جئت ! لا يا ولدى العزيز ! انها ليست خطيئة .. انها ههنا .. لقد خلقك الله .. والله خلق هذه الفتاة ايضا ! ابن الله

هو خالق كل شيء ، ولهذا فليس من الخطيئة لى شيء ان ينظر  
الانسان الى الجمال .. الجمال الممثل فى زهرة او فى فتاة . لقد  
خلقها الله جميلة لكن تعيش سعيدة ولكى تسعد الناس . هذا هو  
رايى يا ولدى العزيز .

و عبرت ماريانكا الفناء ، وذهبت الى مخزن النيبيل ، وتمتعت  
بدعاء قصر قبل ان تبسلا بملء الزجاجتين من الدن .. ووقف  
فانيوشا بالباب يرقبها وعلى شفته ابتسامة ..

ولما فرغت من ملء الزجاجتين بالنيبيل الاحمر ، سلمتهما الى  
فانيوشا قائلة حين اراد ان يدفع لها الثمن :

- اعط ابنى النقود .

وقال فانيوشا حين رآها مقبلة الجبين :

- وماذا بغضبك منى يا فتاتى الحسنة !

وبدأت ماريانكا تضحك وتقول :

- وماذا عنكم ابها الروسيون ! هل انتم افاض طيبون ؟

وتأملها فانيوشا برهة قبل ان يرد عليها .. واخيرا ابتسم وقال  
بلهجة مؤكدة :

- اثنى وسيدى من الناس الطيبين فعلا . والدليل على هذا

اننا نتمتع بحب الناس لنا حيثما اقمنا .. ان سيدى من طبقة  
النبلاء فى موسكو .

وانصنت الفتاة باهتمام ، ثم قالت :

- وهل هو متزوج .. سيدك هذا ؟

وغمز فانيوشا بعينه وقال :

- لا .. سيدى لم يتزوج بعد .. ان شبان الطبقة التى ينتمى

اليها لا يتزوجون فى مثل هذه السن المبكرة .

- يبدو لك بارع فى سرد الافاصيص الخيالية ، حنا ، وهل

هو قائد الجنود هنا ؟

- ان سيدى مضابط منطوع فى الحبس القوزاقى ، ولم يصل  
بعد الى درجة الضباط العاملين ولكنه شخصية مرموقة هامة ،  
اكثر حمرة من قائد لواء . انه ليس معروفا من قائد فرقتنا هنا  
فقط . واسم هو معروف من القبط نفسه .

قال فانيوشا هذا بلهجة كيرباء ، ثم اردف قائلا :

- اننا لسنا من هؤلاء الجنود البائسين المرتزقين ، وانما نحن  
من أسرة مريقة . لقد كان لوالده الف عامل مسخر فى اراضيه  
الواسعة . وان سيدى ليتلقى فى كل ثلاثة اشهر الف روبل من  
ايراد ممتلكاته الواسعة . وهذا ما يجعلنا موضع الحبي والتقدير  
ابنا ذهنا .

فقاطعته ماريانكا قائلة :

- هلم مضر . . لسوف اغلق المخزن .

وقدم فانيوشا الى جاجتين لاولى مالا :

- ما اجمل هذه العذراء !.

نم رسل ضحكة عالية وانصرف .



## الفصل السابع

### ليوكا ومارينا

في خلال هذه الفترة كانت القرية قد بدأت تستقطب كالمعتاد كل يوم في مثل هذه الساعة ، من سباتها قبيل الغروب . لستقبل العائدين من الحقول والغابات . واخذت قطعان الماشية والمركبات تندفق من الوادعين ، ونشر في حرها الفجار ، على حين ارتفعت اصوات الماء والغنياب وهي تشرعن على ادخال الماشية الى المرباطة وكانت الشمس قد اختفت تماما وراء قمم الجبال البعيدة ، ولم يبق منها في صفحة السماء الا قابا باهتة حمراء . وهناك بعدا . فوق الساتين المعلقة بؤادر الماء ، بدأت بعض الانجم تلمع في خموت وما لبث ضجيج العود من الحقول ان خف ، وهذات القرية وخرجت النساء والفئات الى بوانات الاكواخ يتبادلن الاحاديث ويتولين تقزفرة اللب ، وذلك بعد ان فرغن من حلب الاغفار واعداد طعام العشاء .

وكانت احاديثهن في ذلك الماء تدور حول مصرع النرى على يد ليوكا - الخطاف - وكان حشد المحائر قد راى - بلهم كيف استطاع ليوكا بمفرده ان يقضي على التثري الجبار .

وقالت احدي النساء :

- لاشك انه سينال مكافاة كبيرة .

- نعم .. بالتأكيد .. « ونيشان » ايضا .  
- ان ذلك الجاويش موزيف حاول ان يحده فاحلة منه بندقية  
التنرى زعما عنه . ولكن الضباط فى معسكر كيزليار سمعوا هذا  
الامر .

- ان حطوق حقم ، ذلك الجاويش موزيف .

وقال حدى الفتيات ا

- انهم مريون ان ليوكا فى القرية الليلة .

- نعم .. انه يشرب الخمر مع بارار عند بامكا .

وكانت بامدا امرأة فوفازية تدعى حانة بعمر مريحص .  
واردد المتحدث قائلا :

- وقد سمعت انهما شربا اربع رجايات كاملة .

وقال حدى النسوة ا

- ان حطاو يختطف الحظ كله - والخطاف اسم على مسمى

الا انه من معتز حقا . لا شك فى هذا . حاد كالخجر .

وتليب وسخر اليد . وكان والده كذلك . انه صورة كاملة منه

.. وعنده نزل خرجت القرية كلها لتسعه .. انظروا .. هاهم

آتون لقد استطاع ابرجوشوف ان يفر من يده على الشابين .

واشارت المتحدثة الى ثلاثة رجال كانوا يمشون نحوهم . وكان

ليوكا ومازار و ابرجوشوف يتقدمون نحو حطاف البنات والشاء

بعد ان شرب نوبة كبيرة من الفودكا . ومن لم كانت وجوههم

مقنطرة - لاسيما وجه ابرجوشوف الذى كان يترنح ويضحك

هاليا وبلكن اترار فى جانيه قائلا للبنات

- ما ريك فى اغنية نسمعنا اياها ؟ هل من يا بنات .. غنين

لكريما للسلوة

وقالت النسوة :

حانكم انتم لستمعون بوقتكم . ا اليس كذلك .

وقالت حدى ربات البيوت :

- ان النساء لا يكون الا فى الامياد .. وانتم سكارى .. لمسوا

لانفسكم .

وضحك ابرجوشوف بالضحك ، وكثر نزار قائلا :  
- ابدا انت بالغناء يا نزار ، وسوف اشترك معك فان لى  
صوتا امدب من صوت العندليب .  
وقال نزار :

- اينها الجميلات ، مالكن صامتات هكذا . لقد حشاهن الخفر  
من اجلكن . . وقد شربنا الآن نكريما ليوكا .  
وكان ليوكا واقفا امام الفتيات منفرج السافين . محالا سمعه ،  
مائل الفلنسة ، يداعب خنجره الممدود الى الحزام باصابعه :  
ويوزع ابتسامته على الجميلات . فلما اقبلت ماريانكا رجع قلنسوته  
تحتة لها ، فاومات براسها برد عليه تحيته ، وجلست على المصطة  
مع البنات واخرجت من صدرها كيس اللب، وراحت تفرقه وتلفظ  
القشر بلا اهتمام .

وبعد ان خيم الصمت برهة : قالت احدى النساء :

- هل جئت لتقيم مدة طويلة يا ليوكا !

فرد ليوكا باكتئاب :

- حتى صباح الفد .

وقال القوزاقى العجوز الذى كان يروى حادث التثرى :

- لىباركك الله يا ليوكا وليزد من حظك الحسن . اسر فخور  
بك ، وقد كنت اقول هذا الآن .

وضحك ابرجوشوف وقال :

- وانا ايضا فخور به . . آه . . انظروا الى فصولنا .

ثم اشار الى احد الجنود المارين واردف قائلا

- ان فودكا الجيش من النوع الممتاز : وانا احبها جدا .

وهنا قالت احدى النساء :

- لقد سكن فى بيتنا ثلاثة من هؤلاء الابالسة . وقد ذهب

جدى الى شيخ القرية ليحنج ولكن الشيخ قال له انه لا يستطيع  
ان يفعل شيئا .

وقالت امرأة اخرى :





— وهل الباروا المتاعب لكم ؟

وردت امرأة لالئة :

— يكفى انهم يبصقون بقايا مضغة التبغ على ارضية الغرف .  
ان من حقهم ان بدخنوا او بمضفوا التبغ خارج الاكواخ . ولكن  
ليس من حقهم ان بلولوا بيوتنا بهذه الاشياء القلرة .  
وقالت امرأة اخرى :

— وهم لا يترددون عن سرقة اى شئ يقع فى ايديهم . لئلا  
لا يستضيف شيخ القرية بعضهم . . عليه اللعنة .  
وقال ابرجوشوف :

— يبدو انك غير راضية عنهم !

وقال نازار وهو يقلد ليوكا فى اختياله :

— والاسوا من هذا انهم يرغمون بناتنا الجميلات على خدمتهم  
واعداد الاسرة لهم .

وضح ابرجوشوف بالضحك وهو يعانق اقرب فتاة اليه :

— هذا حقيقى .

وصاحت الفتاة وهى تتخلص منه :

— ابها العبدان الدميم . . دهنى والا اخبرت زوجك العجوز .

ولكن ابرجوشوف هتف قائلا :

— اهههه واخبريها . ولكن نازار لم يقل غير الحقيقة . لقد  
أصدر قائد المعسكر تعليمات مكتوبة بذلك . وان نازار ليحسن  
القراءة .

لم شرع يعانق الفتاة التالية . الا ان هذه صاحت به :

— ابعد بديك عنى ابها الخنزير العجوز .

ورفعت الفتاة : اوستنكا الوردية الوجنتين ، يدها لتصففه :

ولكن ابرجوشوف تراجع بسرعة وكاد ان يسقط وهو يقول  
فصاحكا :

— ها . يقولون ان الفتاة لا قوة لها . . ولكن ها هى ذى اوستنكا

العسناء . كاد تقتلنى .

وصاحت اوستنكا فاحكة وهى تستدير :

- انعد ايها الخنزير الاسود، ما الذي جاء بك من المخفر ؟ ان  
لقد كنت دائما عندما حاول التبرى ان يتسلل الى القرية . كان من  
الممكن ان يعطى عليك . ولكنه فعل .

فضحك نازار وقال :

- اذن لكنت عليه حتى تحمر عيناك .

- كنت سأتى عليه بقدر ما سوف ابكر عليك يوما .

فقال ابرحوشوف ضاحكا :

- ارى .. انها علواء بلا قلب . ولكنها سوف يسكى يوما .

البرح كذاك يا نازار .

وفى حلال هذا كله ، وقف ليوكا صامتا وهو يحملق النظر الى  
ملويانكا التى شعرت بالحرج من تركيب نظراته عليها . واخيرا قال  
لها وهو يقترب منها :

هنا يا ملويانكا . لقد سمعت انهم فرضوا عليكم احد  
الضباط للسكر معكم .

وبحسب ملويانكا فورا كعادتها . وانما رفعت عينها الى ليوكا  
الذى كان ينظر اليها باسما . واخيرا قالت :

- نعم .

وقالت احدى النساء المجازرا :

- وسكن لاسره ملويانكا كوخين .. ولا بأس من ان يقيم احد  
الضباط وقامه فى كوخ منهما اما ال نوفشكين ، فقد سكن معهم  
احد الضباط الكبار . ويقال ان الكوخ امتلا حاجاله حتى لم يمد  
لحمه مكان لاقامة الاسره . فهل سمع احد بشئ كهذا ؟ ابلق ان  
لعلنى القربى بهذه القطعان المفرقة ؟ ولكن .. ملاذا يمكننا ان نفعل ؟  
ولماذا جاءوا ؟ علما ما اريد ان امره .

وردت احدى البنات قائلة :

- سمعت انهم سيفيمون جسرا فوق نهر بيريك .

وقال نازار وهو يقترب من اوستنكا :

- وسمعت انهم سيحفرون حفرة كبيرة يدفنون فيها البنات  
اللاتى لا يبادلن الشبان الحب .

ثم أسرع مبتعدا قبل أن تناله صقعة من يد أوسنكا ، مما جعل الجميع يتفجرون بالضحك ويحاوون ابرجوشوف ماريانكا . التي كان عليها الدور ، وهاتق امرأة عجوزا . ومن ثم قال له يئازار :  
- لماذا لم تقبل ماريانكا ! يجب أن تأخذني بالدور

لصاح ابرجوشوف وهو غير حافل بمقاومة المرأة المجرور له !  
- لا . . ان هذه المجرور احلى واعلى .

وهتفت المجرور صاحكة

- الهيئوني . . انه سيكنم انغاسي .

واقترب ليوكا من ماريانكا وقال لها !

- واين اسكنتم الضابط ؟

فابتسمت ماريانكا وقالت بعد برهة صمتا !

- في الكوخ الجديد .

- اشاب هو ام مجور ؟

قال ذلك وهو يجلس بجوارها . وردت هر فائلة !

- ومن اين لي ان اعرف ؟ انني لم اوه جيدا . . انه الآن جالس

يشرب النبيذ مع الصياد المجرور ابروشكا . وكل ما اعرف عنه انه

احمر الشعر ، وان معه الشيء الكثير من الامتعة .

فازداد ليوكا اقترابا منها وهو لا يحول نظراته عن صمتها لم

قال بصوت خافت !

- انني سعيد بهذه الاجازة الصغيرة التي ظفرت بها من المحفرة .

وابتسمت ماريانكا خففت وقالت :

- والى متى سنبقى !

- حتى الصباح .

لم مد يده وقال :

- اعطني قلبلا من اللب .

والسعت الانسامة على شفتي ماريانكا وهو تقاء الى كيسي

اللب لائلا

لا تأخذ الكلمة كلها .

وهمس ليوكا بصوت خافت وهو يتناول بعض اللب !



- كنت اشعر بالوحشة وأنا بعيد عنك .. انسم لك على هذا -  
ثم ازداد اقتربا منها وهمس في اذنها وهو لا يزال ينسج في  
في عينيها :

- هل ستأتين الى كوخى الليلة ؟  
فقال بصوت مسموع وهي تتراجع عنه :  
- لا .. لن آتى .. مستحيل !

فعاد بهمس قائلا :  
- صدقبنى .. اننى اريد ان اخبرك بشئ .. ارجوك ان تأتى  
يا ماريانكا .

وهزت ماريانكا راسها وان ظلت باسمة .

وفي تلك اللحظة سمعت ماريانكا اخاها الصغير يهتف قائلا وهو  
يسرع نحو الجمع :

- اختى ماريانكا .. ان امى تريدك ، لقد حان وقت العشاء -  
فقال له ماريانكا :

- سوف آتى حالا .. اذهب انت يا حبيبى الصغير وسوف  
الحق بك .

ونفض لبوكا ورفع قلنسوته قائلا :

- اعتقد انه قد آن لى ان اعود الى بيتى ابنا . لقد تأخر

الوقت .

وارسل اليها ابتسامة اخيرة ، ثم اختفى في المنطف وكان  
الظلام قد انتشر على القرية ، لا يخفف منه الا نور النجوم المتألقة  
الى سماء صافية . وبينما كان نازرا باقيا مع النساء والبنات  
بضاحكن وبدامهن ، كان ليوكا يتسلل مسرعا ، لا الى بيته ، وانما  
الى اقرب مكان من بيت ماريانكا وعلى مقربة من السياج ، جلس  
وهو يقول لنفسه :

- انها تتعالى على ! حسنا ! لسوف اعرف كيف اروضها .

ولما سمع وقع قدميها وهي تقترب ، وثب واقفا واعترض  
طريقها ، فتراجعت في فرع ، ثم اطمأنت حين بينت انه هو !  
وارسلت ضحكة عالية وقالت :

« لقد افرغني ! اذن فانت لم تذهب الى بيتك ؟ »  
ووضع ليوكا احدى ذراعيه حول عنق الفتاة ، ورفع باليد  
الآخرى وجهها نحوه وقال بصوت مرتعد :  
« هناك شيء اريد ان اخبرك به .. صديقي ..  
وقاطعته ماريانكا قائلة :

« ماذا تريد ان تقول ! ان امي تنتظرني .. وبحسن بك ؟ »  
لذهب الى حبيبته .

وتخلصت منه فجأة ، واسرعت نحو مياج كوخها ، ولكنه لحق  
بها ، فاستدارت اليه وقالت وهي تضحك مرة اخرى ا

« حسنا .. ماذا تريد ان تخبرني ايها الخطاف .

« كفى عن السخرية بي يا ماريانكا .. ارجوك . ماذا لو ان لي  
عجيبه ! لياخذها الشيطان افنحى لي قلبك وانا احبك اشد الحب »  
لسوف افعل من جلك كل شيء .. اسمعي ..

ثم شغل يدهم النقود الفضية في جيبه واردف قائلا :

« اتنا نستطيع الان ان نبني لنا بيتا . وان الناصر هيرتا  
يستمتعون بحباتهم .. فلماذا لا نفعل مثلهم . لماذا لا نسمدبنتي  
يا ماريانكا ! »

ووقف ماريانكا صامتة تظرفع باصابعها . وجمع ليوكا  
لبضيه ، وقال بصوت حاسم :

« اتنى لمقت لربما بالانتظار .. الى متى انتظر . ! الست احبك  
بما فيه الكفاية ! »

ثم اردف قائلا وهو يمسك يديها بغضب واهتياج :

« انتك تستطيعين ان تقملي بي ما تشائين .

ولم تفقد ماريانكا لزاما اعصابها ! والمما قالت بصوت هادئ  
واقبح :

« لا دامى لهذه الثورة يا ليوكا .. اتصت الى »

ودفعت به بعدا عنها قليلا وان تركت يديها بين يديه ، ثم  
قالت :

- انى حما مجرد فتاة لا حول لى ولا قوة . ولكن انصت الى  
.. اننى لا استطيع ان اقرر شيئا . ولكن اذا كنت تحبى حقاً  
فاترك يدى .. انى استطيع ان احدث دون ان تمسك بى هكذا ..  
اننى على استعداد لان اتزوجك . ولكنك لن تستطيع ان تنال منى  
شيئا قبل الزواج .

فقال ليوكا وقد هدأت لاثرتة وشاع الابتسام فى وجهه، والرقه  
فى صوته :

- ماذا تعين بالزواج ! ان الزواج ليس فى ايدينا .. ولكننى  
اريد ان تحبى .. اريد ان اؤكد من حبك اولا يا صغيرتى ماريانكا ..  
فاتقربت ماريانكا منه وقالت وهى تغلبه بحرارة :  
- يا فتى العزيز .

ثم تخلصت منه بسرعة ، واندفعت الى بوابة كوخها دون ان  
تستدير اليه ، ورغم كل محاولاته لاستبقائها برهة اخرى ، فانها  
اصرت على الافتراق وهى تهمس له قائلة :

- هلم ابتعد والا رأتا احد .. لعل ذلك الساكن اللعين الجديد  
يتجول الآن فى الفناء .  
وقال ليوكا لنفسه وهو يتراجع :

- آه يا ابنة المنوس ! انك تريدن الزواج منى ، حسناً ..  
ولكن عليك اولا ان تحبى ولسوف نرى .

والنقى بنازار فى حانة بامكا . وبعد ان شرب معه قليلا ذهب  
الى حبيبته دونايكا ليقضى معها الليل رغم ما سمعه عن خيانتها له .

## الفصل الثامن

### حرب عمر ماريا

كان الصياد المحوز ابروشكا يحب ليوكا ويرى فيه لحاحات من قلبه الدابر . ومن ثم نهض من رفقته على ظهر العرن في كوخه الصغير حين سمع صوت ليوكا ناديه من الخارج ، وأسرع يستقله قاتلا

- اه يا عزيزي ليوكا .. هل جئت لتزور صديقك المحوز ابروشكا . ادخل يا ولدي .. ادخل .

وقال له وهو يستقبله داخل الكوخ :

- هل تنوى العودة الى المخبر يا ليوكا ؟

فقال ليوكا وهو يضع امام ابروشكا رجاجة من النسل :

- لقد جئت اليك بالنبيل الذي وعدتك اباد بعد مصرع النترى .

- آه .. بارك الله فيك يا ولدي .. ما اكرمك .

ثم صب لنفسه كأسا ، وليليوكا اخرى ، وقال :

- في صحتك يا ولدي ليوكا .. وليزدك الله نجاحا وشهرة .

وشكره ليوكا .. وأسرع المحوز ووضع بعض السمك المجفف

على مائدة قديمة ، وقال وهو يدمو ليوكا الى الطعام :

- اتري .. ان لدى كفايتي من الطعام دائما .. حمدا لله ..  
والآن ماذا عن الجاويش موريك ؟

فلما اخبره ليوكا بأمر البندقية التي اخذها منه الجاويش قال  
له ابروشكا :

- دعك من هذه البندقية .. انك لو لم تعطها اياه ، ما ظفرت  
بالمكافاة .

- ولكنهم يقولون انها ستكون مكافاة بسيطة لأنى حديث عهد  
بالخدمة ، ولم التحق بعد بكتيبة الفرسان . اما البندقية فانها  
رائعة .. ليس لها منيل لدينا .. انها مصنوعة من القرم ..  
وتساوى ثمانية روبلات على الأقل .

فقال المجور بلهجة الرجل المحرب :

- دع الامر يقف عند هذا الحد . لقد اشتبكت فى نزاع من  
هذا النوع ، وانا شاب منك . كان رئيس الضابط يريد منى أن  
اهدى اليه جواذى الاصل ليرقى الى رتبة معلم .. ولكننى  
رفضت ، وهكذا صارت كل فرصة للترقية بعد ذلك .  
فقال ليوكا وهو يومئ برأسه :

- نعم .. نعم يا صديقى العجوز .. ولكن على ان اشترى  
جوادا ، وليس الجواد - اذا حصلت عليه عبر النهر - لا يقل عن  
خمس روبلا ، والدنر لم تبع محصولنا من النبيذ بعد .  
- آها .. ان صديقك العجوز ابروشكا لم يكن بهتم بهلاء  
التفاهات عندما كان فى مثل سنك .. كنت اذهب واسرق قطعانا  
كاملة من الحياض من هضاب نوحاى وامبر بها نهر تيريك .. وكنت  
أحيانا نبيع الجواد بمائة او مئتين من الفودكا .  
مثل هذا السر البخس كنتم تبيعون الجواد ؟

- نعم .. انك لا تزال غرا يا صديقى الصغير .. اتنا كنا نسرق  
الحياض حتى لا نتعلم البخل . اما انتم يا قتيان اليوم ، فلعل الواحة  
منكم لم ير لى حياته قطيعا من الحياض . لذلك لا تقول شيئا ؟

- وماذا تريدنى اقول يا ابروشكا .. اتنا لسنا من جيل واحد  
- انك احق يا ليوكا .. لاشك فى ذلك ..

ثم اردف قائلا وهو يقلد ليوكا ساخرا :

- انتا لسنا من جيل واحد لا حسنا .. بل انتا فى الواقع  
تختلف جدا . فانا عندما كنت فى مثل سنك ، كنت قوزاقيا محتلما .  
- ماذا كنت يا ابروشكا ؟

فهر ابروشكا راسه وقال :

- كار الصياد ابروشكا رجلا اجتماعيا .. لم يكن يبخل على  
أحد شيء . ولهذا كان محبوبا من الجميع ، وكان اذا جاء احد  
اصدقائه لزيارته قدمت له الطعام والشراب وجعلته ينام فى  
اقراشيه . واذا ذهبت لزيارته حملت هدية له . هكذا ينبغي ان تكون  
الحياة ، وليس كما تفعلون الان . ان التسليه الوحيدة لكم ايها  
الغنيار هى فزقة اللب والعبث مع البساتين .  
فاطرق ليوكا براسه وقال :

- نعم .. هذه هى الحقيقة .

- اذا اردت ان تعيش رجلا ، فكن شجاعا . ان الرجل العادى  
اذا اراد جوادا اشتراه .. اما الرجل الشجاع ، اذا اراد  
جوادا فانه يظفر به من هضاب نوجاى .  
وساد الصمت برهة قطعه ليوكا بقوله :

- نعم .. نعم .. ان الحياة فى المحفر مملة وكذلك فى العربة .  
وليس هنا او هناك مكان يستطيع فيه المرء ان يهرب عن شجاعته .  
ان كل زملائه حاملون . اليك نازار مثلا . لقد ذهبت معه ذاك اليوم  
الى قرية نترية ، واراد شيخها جبرى خان ان يصحب احدا للاغارة  
على هضبة نوجاى والظفر ببعض الحباد ، ولكن نازار رفض ولم  
يستطع ان يذهب بمفردى .

- وماذا عني ، اننى لم انته بعد .. اعطنى جوادا وانا اغير على  
هضاب نوجاى فى لمح البصر .

- ما جدوى الحديث على هذا النحو الفارغ ، يحسن ان نخبرنى  
ماذا ينبغي ان نفعل مع جبرى خان ؟ لقد طلب منى ان اسرق الحباد  
من هضاب نوجاى الى شاطيء تريك وبعد ذلك يستطيع ان

يتصرف فيها ولو كانت عشرين حوادا . ولكنه رجل تترى . . لعل  
استطيع ان اتق به ١.

- يمكنك ان تثق في جيرى خان . انه رجل شريف هو وجميع  
قومه . وقد كان والده صديقا حبيبا لي . ولكن يمنع الى  
نصيحتي ، دعه يقسم على الاخلاص لك . يمكنك ان تظنر اليه  
بعد ذلك . واذا خرجت للاغارة معه ، فخذ مسدسك معك ، لاسما  
هندما تبدأ في تقسيم الاسلاب . لقد كنت ان افنل ذات مرة على  
يد تترى عندما طالبت بعشرة روبلات من كل جواد . ان النقة  
لا بأس بها ، ولكن عليك ان تجعل مسدسك في متناول يدك دائما .  
وصمت الصياد المجوز برهة ، لم قال فجأة :

- ولكن نصيحتي الاساسية هي عدم الذهاب الى بوجاي . .  
ثم يا ليوكا ! لا تذهب الى بوجاي مهما كان السبب .  
- لماذا ٢ .

- لان الظروف قد تغيرت . الا ترى كل هؤلاء الحنود  
الروسين الذين يملئون المنطقة ، انك اذا ذهبت للاغارة على بوجاي  
فسوف تعرض نفسك للعقاب . . سوف توضع في السجن صدقني  
يا ليوكا ! دعك من بوجاي وحاولها . . ان الظروف تغيرت . .  
واستمد الصياد المجوز لسرد احدي اقايبص مغامرته التي  
لا حصر لها ولكن ليوكا قال وهو يرى ضوء الفجر ينسلل الى  
النافذة :

- لقد اسفر الصباح يا صديقي المجوز ، ويجب ان اعود الى  
المخفر ، ارجو ان اراك يوما آخر .

- ليحفظك الله يا ليوكا . . وسوف انصرف انا ايضا . لقد  
وعدت الضابط اولتين بمصاحته الى رحلة صيد اليوم . . انه  
شاب لطيف .

- \*\*\* -

وفيما كان ليوكا يسير في طريقه الى المخفر ، صفر الصياد  
المجوز ابروشكا لكلايه ومضى الى مسكن اولتين حيث وجد النسيب

لا يزال يفظ في نومه ، وحتى قاتبوشا كان واقفاً في كراشه رغم  
يقظته ، يلتفت حوله ، ليدرك أين هو ، قبل أن ينهض .

وفتح ابروشكا الباب وهو في كامل أهنته للصيد وصاح قائلاً :  
- إلى السلاح أيها الكسالى ! لقد هجم علينا التنوء . فاتيوشا !  
ثم ابريق الشاي على الموقد واسرع ، ما هذا النوم ، ان البنات قد  
استيقظن .. انظر إلى تلك السائرة نحو النهر لتستقي ؟

واستيقظ اولتشي وولب واقفاً من الفراش وهو يشعر  
بالانزعاش والبهجة على صوت ابروشكا الذي كان يستنرد قائلاً :  
- خطوة سريعة يا فاتيوشا ، اهكدا يستعد الناس للصيد ! ان  
الناس قد تناولوا الفطارهم وانت لا تزال نائماً ؟  
وقال اولتشي ضاحكاً :

- لفتي اعتراف بالذنب فلا جدوى من الإنكار .. جهز البنادق  
والبارود وحقائب الصيد يا فاتيوشا .  
وصاح ابروشكا قائلاً :

- سوف اسامحك هذه المرة ، ولكن اذا تكرر هذا منك !  
السوف المرمك لمن رجاجتين من النبيذ الأحمر . ان الغزلان تهرب  
إلى مخابنها بمجرد ظهور الشمس .  
فقال اولتشي وهو يتذكر احاديث المجول في الليلة السابقة :  
- وحتى الآن وجلدنا غزالاً سوف يكون اروع منا والذى . انك  
ان تستطيع ان تخدع الغزال في ضوء النهار .

- آه . اضحك ما شئت ، ولكن ينبغي ان تصيد واحداً منها  
قبل ان تضحك . ها هو ذا صاحب البيت مقبل علينا ليربك كما  
يبدو .. انه يرتدي ملابسه الرسمية لكي يجعلك تعرف انه بريء  
صائب .. آه .. ما أشد فرور هؤلاء الناس .

واسرع فاتيوشا من الفناء بملء رصوف صاحب البيت .  
وسرعان ما اقبل والد مارياتكا في ملابسه العسكرية الرسمية .  
وكان وجهه يتم على انه قوزاقرى متقف . يتحدث من أصل كريم  
وكان قوزاقرى من العمر . ملوح الوجه ، قوى الصوت .  
يتحدث بنفس الطريقة التي يتحدث بها الصياد ابروشكا .



واستقبله أولتين مرحبا « والنمس منه ان يجلس « على حين قال  
أبروشكا وهو ينحنى بطريقة مضحكة .  
- طاب صباحك يا سيد ايليا فاسيليتش .

لقد الفيف قائلا وهو يوميء برأسه في تحية عابرة ا  
- طاب صباحك يا أبروشكا .. لقد جئت في ساعة مبكرة على  
ما يبدو .

لم اردف قائلا لأولتين وهو ينسحب الى الصياد المجوز :  
- هذا هو النمروود العصري .. انه ابرع صياد في هذه البلاد  
واسبق ارجال الى ركوب المحاطر .. ولا شك أنك ستبهج  
بصحبته .

ووقف أبروشكا مطرقا برأسه لا يدري ماذا يقول ازاء هذا  
الاطراء ولكنه كان يفكر في هذه العبارة « النمروود العصري »  
ويحاول ان يفهم دلالتها .

وقال أولتين ا

- نعم .. لقد كنا على وشك الخروج للصيد معا .

- حسنا .. حسنا .. ولكنني جئت لأتحدث معك حديثا لن  
يستغرق الا بضع دقائق .

- اتنى رهن اشارتك .

- الواسح أنك واحد من السادة الكبرياء ، وبما أنني برتبة  
ضابط بالجيش ، فمعنى هذا اننا سنتفاهم على كل شيء .

لم توقف لحظة قبل ان يستطرد قائلا وهو يلتقي نظره باسمه  
على الصياد المجوز وعلى أولتين :

- ان زوجتي المجوز لم تحسن الاتفاق معك .. فالواقع ان  
هذا الكوخ كان مؤجرا في يوم ما لاحد الضباط بسنة روبلات في  
الشهر ، غير مربط الجياد .. ولما كانت زوجتي المجوز لا تعرف  
التيما في شؤون التأجير فأنى ارى ان الاتفاق الذي تم بينكما لا  
يعتبر قائما ..

- ماذا تعنى ؟

١١١ - الا اذا وافقت على ان تكون الابجار الشهري لهذا الكوخ سنة روبلات .

ووافق اولتين فوراً . . وشرب الجميع الناي ، ثم نهض الضيف وانحنى قائلاً لاولتين قبل ان ينصرف :

- ارجو ان يتكرم بزيارتنا وتتناول شيئاً من نبيدنا على حصص التقاليد المنبعة في هذه البلاد .

- سوف اشرف بزيارتكم في اقرب فرصة .

وبعد انصراف السا فاسيلفتش ، والد ماريانكا قال ابروشكا المعجوز لاولتين :

- ياله من وفد ! هل ستعطي حقا سنة روبلات اجرا شهرياً لهذا الكوخ ! من ذا سمع بشيء من هذا من قبل ! ان اجر احسن الكوخ في القرية لا يزيد على روبلين في الشهر بل اننى مستعد ان اؤجر لكم كوخى بثلاثة روبلات .  
فقال اولتين :

- لا . . اننى افضل البقاء هنا .

- سنة روبلات ! يبدو ان لديك مالا لاحصر له . . ها فافتبوشا احضر بعض النبيذ اننى ظمآن ايها اللعين .

وبعد ان شرب كل منهما جرعة نبيذ للاستعانة بها على مشقة الطريق . انطلقا بعد الساعة بقليل . وعند بوابة القرية التقيا بمركية وجرها نوران ، وجلس في مقعد القيادة ماريانكا وقد غضبت راسها وسنديل ايض بكاد يصل الى عينيها ، وما ان رآها ابروشكا حتى هتف قائلاً :

- آه . . هاهى ذى حبيتى ماريانكا !

ورفعت ماريانكا السوط مهددة وهي تنظر الية والى اولتين  
بينهما الجيلتين الفاحكين .

ثم قالت :

— حذار ان تقترب والا ..

لم فرغت بالسوط للثورين ، وانطلقت فى الطريق الزراعى بين الحقول وسار فى الطريق نفسه اولين وابروشكا الذى استطرد فى الحديث عن والد ماريانكا قائلا

— ذلك اللص .. سنة روبلات ؟ .. ياله من انتهازى لعين ..

— ولكن لماذا انت نالز عليه يا ابروشكا ؟

— لانه بحيل .. وانا لا اطيق الرجل البحيل . ان الانسان لن يأخذ معه المال بعد الموت ، فلماذا يحرم نفسه اطايب الحياة بالبخل واكتناز المال . ان لدبه الآن كوخين وقد ظفر من ابن هم له بيستان ثان من الفاكهة والكروم ، وهو بارع فى كتابة الدعاوى والشكايات لأهل القرية . بل ان اهالى القرى الاخرى يأتون اليه ليكتب لهم شكاياتهم . فلماذا يدخر المال .. ولن ؟ .. ان له ابنة واحدة وابنا واحدا .. والابنة سوف تتزوج قريبا فلماذا كل هذا البخل والتهاك على جمع المال ! ..

فقال ولنين :

— اه .. لعله يدخر المال لزواج ابنته .

— ان زواج الفتاة لن يكلفه مالا .. انها جميلة ومعظم شبان القرية يتمنون زواجها . ولكن هذا اللوغد يريد ان يزوجه من رجل ثرى . انه يريد ان يظفر من وراثتها بحيل كبير . ان فى هذه القرية شابا قوزاقيا يدعى ليوكا . وهو جار لنا ، وابن اخ لى . انه شاب بارع شجاع وهو الشاب الذى قتل تريبا بالأمس .. حسنا انه يطلب يد الفتاة منذ مدة طويلة ولكن والدها يراوفه ويبتكي الأعدار قائلا انها لاتزال صغيرة وما الى هذا . ولكننى اعرف ماذا يريد .. انه يريد ان يركع الشبان امامه .. ما احقره . ولكن ليوكا سوف يظفر بها فى النهاية ، لانه افضل شاب قوزاقى فى القرية .. وسوف نال وساما ما على قتله التثرى ..

فقال ولنين ؟

ولكن ما رايك اننى رايت هله الفتاة امس تقبل قوزاقيا فى  
النساء سىرى فى الغناء ليلة امس .

فصاح ابروشكا قائلا وهو يتوقف فجاءه :

- انك لست جادا ا .

- اقسم لك على هذا ا .

ففكر ابروشكا ثم قال :

- ان النساء شياطين . . ولكن اى قوزاقى هذا ا .

- لم استطع ان اراه جيدا فى الظلام .

- مالور فلنسوته . . هل كانت بيضاء ا .

- نعم .

- وستوته . . هل كان يرتدى سترة حمراء ا .

- نعم .

- وهل كان فى منل طولك ا .

- نعم . . او اطول قليلا .

فانفجر الصياد المعجوز ضاحكا وقال :

- انه هو . . صديقى الشاب ليوكا . . اننى احبه كانه ابنى .

وصمت اولتين برهة . . ثم قال :

- كيف سيكون صيدنا ا .

- سوف تنبع الكلب . . وعندما ترى بطة فوق شجرة ، يمكنك

ان تطلق النار عليها .

وبعد برهة صمت اخرى قال اولتين :

- لو انك فى مكانى ، فهل كنت لغازل ماريانكا .

- سوف اخبرك بما يجب ان تفعل هذه الليلة . ولكن عليك الان

ان تراقب الكلب .

واشار الى كلبه المحبوب ليام .

وبعد ان صارنا مسافة اخرى في صمتنا : استأنف اولنينا  
الحديث عن ماريانكا قائلا :

- لاذني حديثا عن ماريانكا .. ان فهي تتبادل الحب مع  
ايروكا ..

تهمس الصباذ المعجوز قائلا :

- سكونا .. اتصت جيدا .. اتنا الآن سندخل الغابة ..

لم تقدم في ممر ضيق ، وما لبث الاثنان ان وجدا نفسيهما  
داخل غابة كثيفة الشجر .. وكلما سمع ايروكا حفيفا ، شرج  
تدقيقته ، وتجاهة عاد يقول بصوت هامس قاضيا :

- لاأحدث صوتا في مسيرك ابها الشاب .. خفف الخطوة بقدر  
ما نستطيع لاتنا الآن في جوف الغابة ..

\*\*\*

## الفصل التاسع

### الصيد

وعمر الصياد المجوز فجأة وهو يجلب قلنسوته ليخفي وجهه .

- لقد حطت بطة على قصص شجرة لريت . . اخف وجهك بقبعك ابها الشاب . . وامتعذ ان البط يخاف من وجوه الرجال .

وكان أولئین بصر وراء ابروشكا . . وما أن سمع تحذيره حتى قوحي بدوى طلقة ناربة أرسلها الصياد المجوز من بندقيته . . وإذا بذكر بطة ينهاوى قتيلاً على مسافة غير بعيدة ، وإذا الكلب يسا يصرع للبقطة . وفيما كان أولئین يقترب ، اذا به يرى ذكر بطة آخر يحاول الهرب . . فتصوب اليه بندقيته وتطلقها عليه . . وأصا في مقتل .

وصاح الرجل المجوز ضاحكا :

- مرحى . . مرحى .

والتقط الطنن في ابتهاج ، وسار الاثنان سميتين ؟ وراحا يتبادلان الحديث بمودة ، وقد اقتبط أولئین بعبارات الملاح التي كان يسمعا من الصياد المجوز .

وكنى منعطف داخل الغابة .. قال أيرروشكا ؟

- انتظر لحظة .. لسوف نمضي الآن في هذا الممر ، لأننى رأيت منكاً يرمين النار بعض الظباء .

وصلوا كى ممن كثيف الشجر ، وبعد مسيرة مائة باردة . وصلوا الى صاحبة ذات عشب وماء ، وشاهد أولتين . الذى كان يسير الى المؤخرة - الصياد المجوز وهو ينحنى على الأرض ويفحص بعض الآثار ، ثم يسير الى آثار أقدام شربة ويقول :  
- اترى !

فقال أولتين بصوت خافت :

سلم .. انها آثار أقدام شربة .

ونخطر بباله ان الآثار قد تكون لأقدام بعض النمر الخشنين فى الغابة استعدادا للاغارة على القرية ، ومن لم بدأت المخاوف تنوءه ولكنه فوجئ بأيرروشكا يقول له !

- انها أقدامى أنا .. وهى تكاد تختفى تحت آثار حوالمر يقن الحيوانات البرية .. وهذا يعنى ان هذه الحيوانات قد مرت من هنا منكاً هذا قريب .

ولجأة سمعا صوت حيوان ينطلق من مخبئه ويشق النبات الكثيف فى طريقه ، وسرعا ما اعدا بندقيتهما للاطلاق . ولكنهما لم يريا شيئاً ، وانما سمعا فقط دققة حوالمر حيوان يدفع بعيداً عنهما .

وقال الصياد المجوز وهو يكشر عن أليابه فى غبطة :

- انه وهل كبير القرون .. لاشك انه كان واقفاً فى مخاف قريب فكيف قلنا منه .. بالفرصة الضائعة .. ما أجد حماقتى .

وبدأت الشمس تميل نحو الغروب ، عندما اخذ أولتين مع الصياد المجوز فى العودة الى الكوخ ، وبرغم ما كان يشعر به أولتين من لىب وجوع ، فانه كان مستهجا سميد النفس وهو يرى مرة

أخرى الجبال البعيدة ؟ وما ربانكا تروح وتقدو قى الفناء ، والصيلة  
أبروشكا لا يكف عن سرد مقامراته أيام السباب .



وفى صباح اليوم التالي ، ذهب أولئك إلى الغابة ، للصيـدة  
بمفرده . . لم يشأ أن يصحب معه الصياد العجوز . وساروا سورا  
إلى البقعة التى هرب منها الرجل فى اليوم السابق ولكنه لم يجد  
له الرا . . فانطفئ إلى مكان آخر فى قلب الغابة ، وسرعان ما رأى  
عددا من البط يحاول الطيران بعيدا ، فاطلق عليه بنذيقته بسرعة  
وفى طلقات سوائية مما جعله يستطيع اسقاط خمس بطات .  
وادرأه ان أبروشكا المجوز أبى أن يسير به إلى هذا المكان الراضين  
بالبط ، حتى يحتفظ بسر نفسه .

وعند الظهر . . كان التعب قد حل به . . فالتفت بظانه الخمس  
وشرع يسير فى طريق العودة . . ولكن السماعات اخذت تمر وهو  
لا يجد منفذا يخرج به من الغابة . وادرأه أنه ضل الطريق . . وأن  
من الممكن أن يقضى بضعة أيام وليال وهو سجين داخل غابة لا يعرف  
معالمها . ومع كل خطوة كانت مخاوفه تزداد . . ولسى تعبته . .  
وراح بحث الخطو وهو يحاول أن يعرف طريقه من اتجاه الضوء  
ولكن مبشأ كانت محاولاته . لقد خيل إليه أن كل خطوة بخطواته مضى  
به إلى قلب الغابة بدلا من خارجها . . وبدأ الظلام يكسو الجو . .  
وتزداد إحساسا بالضباب . . وراح ينتم بالدها ، ولما أظلم الجو  
إيقن أنه سوف يقضى الليل بمفرده داخل غابة زاخرة بالوحوش  
والحيوانات البرية . ومن يدري . . فلملح بلقو حنقه فى هذا المكان  
الوحش . . ولعل حيوانا برياً يلتهم جسده ولا يترك إلا عظامه لكى  
تنمو فوقها النباتات . ولكنه أبى أن يستسلم لليأس ، كراح يمشى  
على غير هدى والأمل براوده فى أنه سوف يجد نفسه فجأة خارج  
الغابة فى طريق معروف .

ولحقق لأمل فى لحظة ، ولما هو : فى ظلام الليل ، سمع  
لصوات جماعه من جنود القوراق يتحدثون ويضحكون فى مكان



اقرب . واسرع نحو مصدر الأصوات . . . ومالبث أن رأى مياه نهر  
تيريك تلعب في شفق المساء ، والهضبة على الضفة الأخرى تمتد  
إلى الأفق البعيد وبعد مسيرة خطوات أخرى . رأى برج المراقبة  
على المخفر يرتفع أمامه ، وشاهد جوادا يرمى المشب في مكان قريب  
منه ، كما لمح عددا من الجنود واقفين يتحدثون ، وبينهم ليوكا بقمته  
الطويلة ، يتبادل معهم الحديث والضحكات .

وخامر أولئین احساس عمیق بالسعادة . . . لقد أدرك أنه وصل  
إلى مخفر نيزن - برونسك على نهر تيريك في مواجهة القرى الثرية  
على الضفة الأخرى من النهر .

وتنهذ في ارتياح عندما وصل إلى أحد الأكواح المخصصة  
للاستراحة في المخفر . . . ورد الجنود عليه التحية بلا اهتمام ، لأنه  
كان أولا يدخن سيجارة ، وقد اعتاد القوزاق أن يحتقروا مدخني  
السيجار ، ولأنهم كانوا من ناحية أخرى مشغولين بأمور أكثر  
أهمية .

كانوا في تلك الليلة يستعدون لاستقبال جماعة من الثرى الذين  
قرروا الحضور لافتداء جثة مواطنهم الذي قتل بيد ليوكا . ومن  
ثم كان الجنود القوزاق في حالة انتظار وصول قائد الحامية من  
القرية ليقوم بالمفاوضات مع جماعة الثرى .

ولم تمض غير لحظات حتى وصل الوفد الثرى برئاسة شقيق  
القتيل ، وكان رجلا قوي البأس ، فصر الشعر ، مصبوع اللحية  
بالحناء شديد الشبه بأخيه القتل ، وبعد أن تبادل التحية القصيرة  
مع حراس المخفر ، جلس في هدوء دون أن يتنازل بالظر إلى أحد  
أو حتى إلى جثة أخيه . وأنه ظل جالسا يدخن متفقا القصر . . .  
ويصق على الأرض ، ويدمدم بكلمات قامضة كان زملاؤه ينصتون  
إليها باهتمام . وكان الواضح أنه واحد من الذين التقوا في معارك  
كثيرة مع الجنود الروسين ، ومن ثم لم يكن فيهم ما يشير اهتمامه  
أو يسترعي نظره .

وكاد أولئین أن يمضي وبلقی نظرة على جثة الثرى القتل ، ولكن  
شقيقه دمدم بعبارات حادة وقد ارتسم الاحتقار المزوج بالفضيحة

على وجهه « مما جعل أحدا الحراس يسرع ويلقى بفكره الفطام  
على وجه الجنة » ، وأثار أولئك بهيبة التنرى الباسل « وحاول أن  
يتحدث معه ليسأله من أين جاء » ولكن الرجل نظر إليه في احتقان  
لم يصب على الأرض ، ولم يتس أولئك ، وإنما استدار إلى المترجم  
الذي جاء مع الوفد ليقوم بترجمة الأحاديث بين التنر والقوراق  
وراح يتحدث إليه بعد أن قدم إليه بضع سجائر .

وقال المترجم التنرى باللغة الروسية الراكبة .

— أنهم خمسة أخوة . وهذا القنبل هو ثالث ضحية على أيدي  
الروسين من هؤلاء الأخوة ولم يبق إلا أخوان فقط .

ثم أشار إلى التنرى الباسل وأردف قائلا :

— أن هذا الأخ شجاع .. شجاع جدا « له قلب أسد .. وقد  
لُكِّن مخبئا بين الأشجار على ضفة النهر عندما قتل أخوه وهو يحاول  
هجوم النهر للاسكناف . وقد شاهد كل شيء بعد ذلك . شاهدهم  
وهم يخرجون جثة أخيه من الماء .. وهم يضحكون وقد أراد أن  
يقتحم صفوفهم ويقتل عددا منهم ، ولكن زملاءه منعوه .

وأقبل لبوك وجلس بجوار المترجم وسأله قائلا :

من أية قرية هو ..

فأشار المترجم إلى الهضاب الممتدة وراء ضفة النهر .. ثم  
قال :

— من قرية سوبوكرسو .. على مسافة لعانية أميال .

— هل تعرف رجلا كبيرا يدعى جيرى - خان .. أنه من أهالي  
مقاطعة سوبوكرسو .. أنه صديق لي ..

— أنه أيضا جار لي .

وهنا بدا الاهتمام على لبوكا ، فراح يتحدث مع المترجم باللغة  
التنرية .

وبعد لحظات أخرى « وصل قائد الحامية من القرية » ومعه  
السيخها والنان من أمياتها وكانوا جميعا على منون الجياد .. وحيا

القائد الجميع بيده ، ولكن الجنود لم يهتفوا - كالمعتاد - بمسارات النجبة ، وإنما احتوا رهوسهم ، على حين وقف عدد منهم وبينهم ليوكا ، وقفة عسكرية وأعلن الجاوبش أن كل شيء على مايرام ، وسرعان ما اتخذت الإجراءات الرسمية ، وكتب المهادنة وسلم القائد الفدية ، وتقدم شقيق القنبل وزملاؤه لاستلام الجنة .

وقال قائد الجنود وهو بدير عنبه في الحراس :

- من منكم يدعى ليوكا جافريلوف ؟

فرفع ليوكا قلنسوته وتقدم من قائد الحامية قائلا :

- اننى نحت امرك ياسيدى .

فرمقه القائد بامعان وقال :

- لقد ارسلت تقريرا الى الكولوتيل ، ولا ادري ماذا تم شأنه . وطالبت فى التقرير ان تمنح وساما لانك اصغر سنا من ان لرقى الى رتبة جاوبش ، هل تعرف القراءة والكتابة .

- لا ياسيدى .

- ولكك فتى شجاع . وكنت اتعنى لو انك تعرف القراءة والكتابة .. حسنا .. ضع قلنسوتك على راسك .

ثم استدار القائد الى بعض الحراس وقال :

- ساعدوا هؤلاء ، انثر على حمل الجنة .

وعاد ليوكا وجلس بحوار اولتين وهو مشرق الوجه بالسعادة . وبعد ان فرغ الجنود من حمل الجنة الى القارب - ولب شقيق القنبل اليه ، ثم استدار ودار بعنبه فى وجوه حراس المحفر وهو يتحدث الى المترحم اندى اشار الى ليوكا .

وظل شقيق القنبل مركزا نظراته على ليوكا كأنها بحر صورته فى ذهنه . ولم تكن فى نظراته هذه اية معان للحمد او المضيي ، وإنما كانت احتقارا حالصا .

وبعد أن هذا كل شيء ، قال 'سوكا' لاولين الذين كان يدخلون  
مسيجارة :

- لماذا يدخلون .. ان التدخين عادة سيئة وصار للصحة

فرد اولين قائلا

- انها مجرد عادة .. لماذا نسال ؟.

- لالشيء .. اننا نكرهه .. طرنا فيما يمكن ان يحدث له ان احدا منا  
نحرق الفوراق بدادختر .. حسنا .. كيف استطعتم معرف الطريق  
الى هنا عبر الغابة ؟.

فضحك اولين وقال :

- الواقع اني ملكت الطريق .. وقد جئت اليكم بمحض  
المصادفة .

- وهل تعرف كيف تعود ؟.

- لا .. مطلقا ..

- اننى على استعداد لان اصحبك .. يمكنك ان تطلب هذا  
من الجاوبش ..

وقال اولين لنفسه :

- ما اجمله من فنى ؟.

لم تذكر بفيل مربيته له بالقرب من مباح البيت .. وعاد يقول  
لنفسه : ما هذه الحماسة والفاء .. هاهو ذا شاب قل رجلا سلا  
ومع ذلك يشعر بالسعادة والعجز . كأنه قام بعمل مجد ! كيف لم  
يستطيع ان يدرك انه ليس هناك قط ما يدعو الى كل هذا انه هو  
وهذه السعادة ؟.

وقال احد الحراس وهو مود من سفة النهر :

- كن على حذر بالسوكا . ألم تسمعه وهو يسأل عنك ! انه لن  
يستربح حتى يثار لاجبه منك .

توقع ليوكا راسه وقال بصوت نرم من الثقة بالنفس !  
- اذا حاول ان يضع قدمه فى هذه الناحية ، سيكون مصيره  
قصير اجه نفسه .

وهز الحارس كتفه وقال !  
- ان هذا التبرى كما يبدو لى شديد البأس .. وعليك ان تأخذ  
مهلك من الاز فساعدنا ايها الزميل .

فارسل ليوكا ضحكة عريضة وقال :  
- عليه ان يحمد الله اذ عاد الى دياره سالما .  
وعندئذ ساله اولئين قائلا :

- لماذا انت سعيد الى هذا الحد .. ماذا يكون شعورك لو ان  
أخاك هو الذى قتل ؟ .

فنظر ليوكا الى اولئين بمبتين ضاحكتين وقد فهم مقصده  
ومن ثم قال ببساطة :

- ان هذا يحدث دائما .. الا بغير هؤلاء التبر علينا بين الحين  
والآخر ويقتلون اخوانا لنا .

\*\*\*

## الفصل العاشر

### الهدية

وانصرف قائد الحامية وشيخ القرية . وقرر أولئين أن يرضى ليوكا ويتبع له فرصة زيارة القرية . فطلب من الجاوش ان يسمح له بمرافقة ليوكا في طريق العودة . وكان يعتقد ان الشاب يريد العودة الى القرية ليرى ماريانكا . ولم يتردد الجاوش في اجابة أولئين الى طلبه .

وفي انهاء عودتهما الى القرية قال أولئين لنفسه :

« ان ليوكا يحب ماريانكا . وقد كان من الممكن ان أحما أنا أيضا . ولكن من واجبي ان افصح الطريق لتنمية هذا الحب بين العاشقين » .

وفغره احساس بالمعطف على ليوكا وماريانكا . وكان ليوكا يشعر بالسعادة الكاملة وهو يسمع حوار هذا الشاب الروسي الرقيق الذي أحس نحوه بصدافة مباحنة . . وكان هذا الشعور المشترك يجعل الاثنين يرضيان في الضحك كلما التفت نظر انهما .

وقال أولئين وهما يقتربان من احدى البوابتين :

« اي هاتين البوابتين أقرب الى المكان الذي تريد الذهاب اليه .

أورد ليوكا قائلا :

- أنتى سامضى معك الى اقرب مكان لمسكنك .. لا تخشى  
تسبنا .

فضحك اولتين وقال :

- أنتى لمكت خائفا ولكتنى لا اريد ان اقل ملبك .

- لاء .. لا .. مطلقا .

- حسنا .. هل يمكنك ان تنزل ضيف على لشرب معى كاسا  
من النبيذ الاحمر ؟

- ان الجاوش طلب منى ان اعود البلة

- حسنا .. يمكنك ان تعود بعد ان يجلس وينبادل الحديث  
ونشرب كاسا من النبيذ معا .

وبعد برهة صمت قال اولتين

- لقد سمعتك امسى نفى .. ورايتك ..

- اه .. اتنا بشر .

فاوما اولتين براسه لم تال :

- هل حفاتوى الزواج كما سمعت ؟

- ان امى تريد هذا .. ولكننى لم املك جوادا يملك .

- الست جندبا فى الجيش العامل ؟

- لا .. انتى التحقت بالجيش منذ عهد قريب . وليس لى حق

فى الحصول على جواد من الجيش لان . ولست ادري كيف يمكننى  
الحصول على واحد منها . انتى ان استطيع ان الزوج قبل ان يكون  
لى جواد .

- كم تمن الجواد ؟

صمت . وك برهة قبل ان يرد قائلا :

كنا نتحدث عن شراء جواد لى امعة الاخرى من النهم

وفد قبل لى ان اقل من الجواد احدى هو سين روبلا .

## وتجاة قال اولئين ؟

- ما رايبك لو التحقت بخدمتى واصبحت مراسلة لى ؟ اتنى  
استطيع ان اربب الامر مع قائد الحامية وسوف اعطيك جوادا ، لان  
لدى جوادين .. ويمكننى الاستغناء عن احدهما .

فضحك ليوكا قائلا :

- ماذا تعنى بهذا ؟ ولماذا تقدم الى مثل هذه الهدية ؟ . ان  
تقى مقدورى ان احصل على جواد بوسيلة ما .

واريبك اولئين قلبلا .. لقد اراد ان يقول شيئا ، ولكنه لم  
يعرف ماذا يقول . واخيرا غمغم قائلا .

- الا تريد ان تكون مراسلة لى ؟

- لا ..

- حسنا .. ولماذا لا تريد ان تقل جوادا هدية منى ؟

وبعد برهة صمت .. قال ليوكا :

- الدبك بيت فى موسكو .

ولم يجد اولئين مقرا من ان يقول له ان لديه عددا كبيرا من  
البيوت فى موسكو .

وعندئذ قال ليوكا :

- بيوت اكبر من بيوتنا ؟

- نعم .. اكبر جدا .. ارتفاع كل بيت يزيد على ثلاثة طوابق .

- وهل لديكم جباد مثل جبادنا ؟

- ان لدى مئات من الجباد .. كل واحد منها يساوى لثمانية

او اربعمائة روبل فضى .. ولكننى احب جبادكم .

وبعد مسيرة خطوات اخرى فى صمت ، قال ليوكا :

- وما الذى جاء بك الى هنا ؟ هل جئت بمحض ارادتك ، ام

ليرفضك احد على المجرى ..



ثم اشار الى منعطف في ممر القاية وأودف قائلا :

- انرى .. هاهو ذا المكان الذى ضللت فيه طريقك .. كان  
يجب ان تنحرف الى اليمين بدلا من اليسار .  
ورد أولنين على سؤاله قائلا :

- لقد جئت بمحضر رغبتى .. أردت أن ارى بلادكم وان اشترك  
فى بعض الحملات العسكرية .

- آه .. لشدما اتمنى لو استطعت الاشتراك فى هذه البلات  
يوما .. اسمع سواء هذه الذئاب ؟

- اخبرنى بالبوكا .. الم تشعر بالرهبة وانت تقتل رجلا .  
- الرهبة ؟ لماذا ! وكيف اشعر بالرهبة وأنا اريد الاشتراك فى  
الحملات العسكرية . ارجو أن تتيح لى هذه الفرصة  
يوما .

فهر أولنين كتفه وقال :

- من يدري .. فربما اشتركنا معا فى إحدى هذه الحملات  
قبل الاحتفال بالميد .

- اننى على كل حال لا اكاد اهرف سببا يبرر مجئك الى هنا .  
أن لديك جبادك ، واملاكك ، وعمال مرادك . لو كنت مكانك . لما  
تركك هذا كله لأعيش فى مثل هذه البرارى البعيدة عن العمران ،  
ما هى رببتك ؟

- اننى ضابط متطوع ، ولكننى مرفح للترفيه فريبا .  
وهو ليوكا راسه فى حيرة وقال :

- لنفرض انك صادق ليما تقول ، فلماذا جئت الاقامة هنا ،  
أتنى لا اجد ما يبرر هذا التصرف ؟ هل انت مسرور باقامتك ممالا .  
- كل السرور .

وكان الظلام كثيفا عندما وصلا فى النهاية الى القرية . وما  
اكاد اولئى يصل الى الكوخ ، حتى اسرع الى المربط وعاد جواد من  
جواده .. وكان قد اشتراه من مدته جرورى ضمن رهيد . لانه  
كان جوادا عاديا فى العاشرة من العمر .

ولما قدمه الى ليوكا ، قال هذا فى دهنة مائة :

- عجا ! ماذا تقدم الى هدية نمتنة كهذه وانا لم افعل من احلك  
شيئا ؟

وكان اولئى فى ذلك اللحظة يشعر بسعادة غامرة .. كان يشعر  
انه سعيد فى هذه القرية القوزاقية .. وانه امسى حره منها ،  
يحبها . ويحب أهلها ، ويحب ليوكا وكأنه يعرفه منذ الطفولة .

ولما كوز الشاب عليه السؤال . افاق من تفكيره وقال بصوت  
هادى :

- اسر لم افعل شيئا كبيرا ، أرجو ان تقبل هذه الهدية  
المواضعه ولا شك ان الأيام ستنجح لك الفرصة لتقدم لى شيئا  
كبيرا .. ومن يدري .. فلعلنا نشارك معا فى احدى الحملات  
العسكرية .

وارداد نعموا ليوكا بالاريسك . وعاد يقول دون أن ينظر الى  
الجواد

- ولكنى لازلت مندهشا . انك تقول انك لى غير حاجة الى  
هذا الجواد . فهل يمكن ان يكون الانسان فى غير حاجة الى  
جواد .. اى جواد ؟

- و .. أرجو ان تقبله .. انك اذا رمت هذه الهدية  
لمسوف يخرح شعورى .

ثم اردف قائلا لغائبوشا :

- قدم له الجواد ..

وقال ليوكا وهو يمسك بعنان الجواد :

- حسنا .. اننى لا استطيع ان اهرب لك من مبلغ سمادى  
بهذه الهدية ولكننى لا زلت مندهشا فائى لم اسمع فى حياتى  
شيء مثل هذا .

وقال اولتين وهو يشعر بسعادة فلام فى النابية عشرة من  
هم :

- اربط الجواد هنا . انه جواد طيب . لقد اشتريته من  
يجرونى . هلم يا فانيوشا ..

احضر لنا بعض السيد .. ولندخل معا يا ليوكا لنشرب !  
وجلس ليوكا فى الكوخ . وأفل فانيوشا بالسيد ، وقال وهو  
يرفع كاسه :

- امسال الله ان اتمكن يوما من رد جميلك .. ما اسمك  
يا سيدى ؟

- اولين ديمترى اندرفينش .

- حسنا يا سيدى .. ليباركك الله ، ولكن اخسبون مدى  
الحياة . وارجو ان تكرم بزيارتنا يوما . اننا لا نملك كثيرا !  
ولكننا نعرف كيف نكرم اصدقاءنا . وسوف اخرج امى لكى تقدم  
الك كل ما تحتاج له .. من زبدة او عنب .. واذا حئت الى  
المخفر ، فسوف اكون خادمك المطيع ، سوف اصحبك الى الصيد ،  
او امضى بك عبر النهر او الى أى مكان تريد .

ثم صمت . فكرا وعاد بقول :

- لو انك جئت البنا منذ ايام ، لجعلتك تشترك معنا فى صيد  
الخزير البرى الذى ظفرنا به ..

- شكرا جزيل يا ليوكا ..

واقترع ليوكا براسه من راسى اولتين وهمس قائلا :

- وهناك شيء آخر لعلك تريد ان تعرفه .. ان لى صديقا

لتربا بدعى جبرى خان . لقد طلب منى ان اذهب ذات ليلة لنظفر  
ببعض الجياد البرية فى هضاب فوجاى . . فهل تحب ان تشرك  
معنا فى هذه المغامرة . . لسوف اكون حارسا لك .

وربت اولنين على كتف ليوكا وقال :

- نعم . . نعم . . لسوف نذهب معا ذات يوم .

وترأخى ليوكا فى جلسته وكأنما شعر احيرا انه يحلس مع  
صديق حميم . وكان اولنين فى دهشة لباطنه وهو يتبادل معه  
الحديث وفى النهاية ، وبعد ان لعبت الخمر براس الشاب  
القرافى ، نهض وصافح اولنين منصرفا .

وبعد انصرافه ، اطل اولنين من نافذته ليرى ماذا سيقفل  
الشاب ليوكا . . وكان هذا يعبر الفناء مطرقا ، حتى اذا  
وصل الى البوابة ، فك عنان الجواد ، ووثب على ظهوره فى خفة  
القط ، وانطلق به راكضا فى طول الشارع ، وكان اولنين يعتقد  
ان ليوكا سوف يذهب الى ماريانكا ويخبرها بامر الهدبة وبانه قد  
ظفر اخيرا بالجواد الذى كان لا بد له ان يحصل عليه قبل الزواج .  
ولكن برغم ان ليوكا لم يفعل هذا ، فقد شعر اولنين بالقبضة  
والرضا ، واحس انه سعيد تماما بنفسه وبالدنيا كلها . . كان  
سعيدا كالطفل . . ولم يستطع ان يملك نفسه من اخبار فانيوشا  
بانه اهدى الى ليوكا جوادا ، ثم ذكر له السبب فى تقديم هذه  
الهدبة ، وبعد ذلك راح يشرح نظريته عن السمادة ولكن فانيوشا لم  
يستطع ان يهضم هذه النظرية قائلا انه لا يملك اموالا يلقى بها  
هكذا فى الطريق .

ومضى ليوكا الى بيته ، وترحل عن جواده ، وسلمه الى امه  
وطلب منها ان تذهب به الى جباد القرية ليرعى الغنم معها .  
وكان عليه ان يعود الى المخمر فى الليلة نفسها . ولا علمت امه بامر  
الجواد ، وكبف ظفر ليوكا به ، هزت راسها فى دهشة وهى تعتقد  
لهى فرارة نفسها ان الجواد لا بد ان يكون مسروبا .

وعاد ليوكا فى الطريق الى المخفر وهو مستغرق فى افكاره  
حول تصرفات اولئين لم يرقم ان الجواد لم يكن فى رايه يساوى  
اكثر من اربعين روبلا ، فانه كان سعيدا بهذه الهدية . ولكنه  
لم يستطيع ان يجد سببا واحدا يبرر هذا التصرف العجيب وكان  
بسبب هذا العجز عن فهم سر الهدية لا يشعر بالشكر أو عرفان  
الجميل ، بل على العكس ، كانت الشكوك تملأ نفسه فى نوايا  
اولئين . انه لا يعرف ماذا يريد اولئين منه ، ولا لماذا يقدم  
اليه هدية قيمة كهذه وهو لا يكاد يعرفه . ان احدا لم يسمع من  
قبل ان رجلا اهدى جوادا ثمنه اربعين روبلا لاسان قريب عنه .  
ولو كان اولئين مخمورا حين قدم هذه الهدية ، لالتبس ليوكا له  
العلل . ولكنه كان فى تمام وعيه . اذن ليس هناك غير معنى واحد  
لهذا التصرف . وهو ان اولئين اراد ان يرشوه ليؤدى له عملا  
منكرا .. وقال لنفسه : حسنا .. اذا كان هذا هو هدفه فلا  
أخوف على .. لقد ظفرتا بالجواد . وسوف نرى ماذا سيجعل  
بعد ذلك . اننى لست ساذجا ، وسوف نرى من هو الساذج  
منا .. انا ام هو .

وازداد احاسا بان عليه ان يحصى نفسه من نوايا اولئين  
الشريرة ، وهكذا تحولت مشاعره من الصداقة الى العداء والتفوق  
ولم يذكر لاحد كيف ظفر بالجواد .. قال للبعض انه اشتراه ،  
وداوغ البعض فى الاجابة عندما سألوه .. ولكن الحقيقة انتشرت  
فى انحاء القرية . ولما وصلت الى مسامع ماريانكا وامها وايها  
وغيرهم من القوزاق بدعوا يتخلدون حذرهم من هذا الروسى .  
ولكنهم برغم مخاوفهم كانوا يشعرون بالاحترام الشديد نحو هذا  
الروسى الكريم .

كان بعضهم يقول للبعض الآخر :

— هل سمعت بما حدث ؟ ان هذا الروسى الذى يقيم فى

أقوَّحَ ابْلِيا المَلامَ قَد أَهْدَى جَواداً لِيوكا . . لا شَكَّ أَنَّهُ واسِعُ  
الثَراءِ .

وَيُردُّ عَلَيْهِ أَحَدُهُم قائِلاً :

- نَعَمْ سَمِعْتُ . . لا شَكَّ أَنَّ لِيوكا قَد أَدَّى لَه تَخْدِمةً حَبِيلةً . .  
لَمَ سَوَّفَ نَعْرِفُ الحَقِيقَةَ يَوماً . . وَايَا كانَ الأمرُ ، فإنَّ الحَظَّ دالِماً  
يُسمي في رِكابِ لِيوكا . . الخُطافُ .

## الفصل الحادى عشر

# الوليمة

عاش أولين فى القرية القوزاقية عبثة هادئة رتيبة . وكاد عمله فى المسكر لا يستغرق منه الا ساعة او بعض ساعة بين الحين والآخر . وكار المعتاد ان تطلق الحرية فى التصرف للضابط المنطوع فى الجيش اذا كان من الطبقة الثرية فى المجتمع . ومن ثم لم يكن مفروضا عليه ان يقوم بعمل معين و ان يشترك فى التدريبات العسكرية بعد ان اثبت جدوته خلال المعارك التى اشترك فيها مما جعل رؤساءه يطالبون بترقيته . ولهذا ترك وشائه فى سلام . وكان الضباط يعثرونه احد افراد الطبقة الارستقراطية ، ومن ثم كانوا يتجنبونه ولا يشركونه معهم فى اصهارهم والعابهم للورق وحلقات غنائهم . ولم يكن هو - من جانبه - بهم كثيرا بهذا كله . كما كان ايضا لا يحدو حذوهم فى انطلاقاتهم بالقرية ، يعثون ، ويغارلون العذارى ، ويتصلون بالنساء ، بل ويتزوجون ايضا . وكان أولين يحب ان يحيا حياته الخاصة وان يتجنب الطرق المنادة المطروقة . وكان يتبع هذا التقليد فى حياته بالقرية القوزاقية .

وكان يستيقظ فى الصباح الباكر بطبيعته . وبعد ان يشرب الشاي فى الثرفة ويستمتع بمنظر الجبال والصباح

وماريانكا ، يولدنى سترته المصنوعة من جلد الثيران ويدس خنجره  
 قى حزامه ، ويحمل بندقيته وكيسه الصغير المخبى على طعام  
 الغداء والتبغ ، ويستدعى كلبه ويمضى بعد الحامسة بقليل الى  
 الغابات الممتدة وراء القرية وفى نحو الساعة مساء يعود متعبا  
 جائعا ، حاملا نحو ست أو سبع بطات برية الا انه من المستحيل  
 عليه ان يعرف فيم كان يفكر فى خلال رحلته اليومية هذه للسيد  
 هل كانت الافكار تدور بذهنه ، او الذكريات او الاحلام . فى بعض  
 الاحيان كان شئ من هذا كله يمر بذهنه مراريا خاطفا ، فاذا  
 تبه من خواطره سال نفسه هم كان يفكر فيه ؟ وفى بعض الاحيان  
 كان يظن انه كان يتصور نفسه مواطنا قوزاقيا يعمل فى الحقول  
 والبساتين مع زوجته القوزاقية ، او تتربا يعيش فى الجبال ، او  
 وملا بهرب من الصيد ، وفى خلال هذا كله كان لا يكف عن التلفت  
 حوله عسى ان يلمح بطة او غزالا او خنزيرا برياً .

وفى الامسيات كان الصيد ابروشكا يالى ويجلس معه ، وكان  
 احيانا يحضر معه السيد الاحمر ، فيجلسان معا وينتادلان الحديث  
 ويشربان حتى يابوا الى الفراش وفى الصباح يمضى الى الصيد  
 مرة اخرى وهكذا . وفى ايام العطلات والاعباد ، كان يمضى اليوم  
 كله فى الكوخ . وكان يشغل نفسه طيلة الوقت بمراقبة ماريانكا  
 وهى تقوم باعمال البيت المختلفة . ودون ان تشعر هى بنظرانه  
 التى تلاحقها . وكان يتأمل الفتاة الحسناء ويحبها ، او هكذا  
 كان يظن ، كما يحب الانسان مناظر الطبيعة الجميلة ومن ثم لم  
 يخطر بباله ان تتطور علاقته بها الى اكثر من هذا . لم يخطر بباله  
 قط ان تقوم بينه وبينها علاقة مثل تلك التى كانت قائمة بينها وبين  
 القوزاقى ليوكا . وكان يشعر انه لو سار على نهج زملائه الضباط  
 وحول امجابه ماريانكا الى غرام ، لخب على نفسه . وربما عليها  
 ايضا . متاعب وآلاما ليس لها ما يبررها . هذا فضلا من شموه  
 العميق بأن سلوكه هذا نحوها ينطوى على لون من انكار الذات . .  
 مما اضفى عليه احساسا بالرضا والسعادة . ولكن اهم شئ فى  
 الموضوع كله انه كان يهرب ماريانكا ولا يجرد على ان يوجه اليها  
 كلمة حب . .



وحتى يوم من أيام الصيف ، عندما كان أولنين جالسا بكوخه  
لانه لم يشعر بالرغبة في الصيد ، اقبل عليه فجأة شاب كان قد  
تعرف به في احدى الحفلات الساهرة بموسكو .

وقال الشاب بمزيج من اللغة الروسية واللغة الفرنسية شان  
الطبقة الارستقراطية يوم ذاك :

- اوه . . ما سعدني بلفانك يا عزيزي . ولشدهما كانت بهجتى  
حين عرفت انك تقيم هنا .

وصمت برهة قبل ان يستطرد قائلا :

- لقد فعل لى ان أولنين هنا . احقا ؟ أولنين ؟ ان هذا لشيء  
عظيم ان اولنى من اعز اصدقائى . تصور كيف يجمع بيننا العذر  
بى هذا المكان ' ماذا تفعل هنا يا عزيزي ؟

وكان الشاب هو الامير بلنسكى ، وقد راح يتحدث فى اسباب  
من الظروف التى دفعت به للاتحاق بالجيش القوزاقى ، وعن  
الوعود التى قطعها له قائد الجيش ليجمعه احد اركان حربه بعد ان  
يشدرب على القنال فى مختلف المناطق العسكرية . وانثنى من هذا  
الحديث الى الثروة عن الحياة الاجتماعية فى موسكو ، وعن سفارته  
الغرامية التى لاحصر لها . وكان أولنين ينصت اليه فى طبق شديد  
لان كل شيء فى حديثه وتصرفاته كان يذكره بالحياة المتعفنة المنحلة  
التي يحاول ان يهرب منها فى هذه القرية القوزاقية النائية . لقد  
بدا له - وهو ينظر الى بلنسكى وينصت اليه ، ان هاله القديم الذى  
يحاول الفرار منه ، قد لحق به فجأة . وشعر بالفضب من بلنسكى  
ومن نفسه ، ولكنه لم يستطع ان يفعل شيئا غير الجلوس والانصات  
الى هذه الثروة المزعجة .

ولم ينصرف الامير الشاب الا بعد ان جعل أولنين يعده بالزيارة  
بين الحين والآخر . ولكن أولنين كان فى قرارة نفسه قد اذعن  
ان يتجنب بلنسكى بقدر الامكان . أما فانيوشا ، فكان سعيدا بهذه  
الزيارة ، لانها اعادت اليه شيئا من حياته الحافلة فى موسكو .

وانغمس بلنسكى فوراً فى الحياة بالقرية القوزاقية كاي ضابط

كتاب واسع الثراء وما أن مضى شهر حتى أصبح كأنه واحد من أهلها ، يعرف الجميع ، ويعرفه الجميع ويقدم الحمر للمجائز من الرجال ، وهدايا الأسلحة للشبان ، والخطوى والمطارف للمدارى والنساء ويقم على نفقته الولائم وحفلات الشاي التي كان يدعو إليها عذارى القرية وكن يدعونه - لسبب ما - بكلمة « بابا » . وكان طبيعيا أن يفدو موضع اعجاب وحب الجميع . على حين كان الجميع ينظرون إلى أولتين المتطوى على نفسه نظرهم إلى مخلوق شاذ .



كانت الساعة الخامسة في بكور الصباح ، وكان فانوشا يوقد النار في الفناء تحت اريق الشاي وقد جعل من حدائه الطويل متفاحا لأضرام النار . وكان أولتين قد مضى ليسبح مع جواده في نهر نيريك إذ كانت السباحة إحدى هواياته . وكانت ربة البيت العجوز أولتيكا مشغولة باشغال الفرن لأعداد وجبة الإفطار . أما مارياتكا ، فكانت في حظيرة الماشية تحلب اللبن .

وبعد لحظات سمع الجميع دققة حوافر جواد في الشارع ، وما لبثت أولتين أن دخل الفناء معتليا صهوة جواده الحمير المتألق بالماء ، وأطلت مارياتكا براسها من الحظيرة « ثم هادت إلى مملها . ولكن أولتين ظن أنها لا تزال تختلس النظر إليه فشمع بالزهر والاختيال ، وخيل إليه أنها تختلس النظر إلى جواده الفاخر ، وإلى ملابسه الأنيقة ، وإلى مظهره العام الذي يجمع بين فتوة الشباب وكرم المحتد ، ووفرة المال .

وصاح بلهجة طروب قائلا لفانوشا :

- الشاي يافانوشا .. وبسرعة .

وكيما هو يدخل الكوخ ، نظر بسرعة إلى باب الحظيرة ، ولكنه توجس بمارياتكا لا تنظر إليه .. وإنما كانت مستغرقة في حلب الأبقار .

وبعد أن شرب الشاي وتناول الإفطار « جلس في الشرفة وبين يديه كتابه ، ولكنه لم يستطع أن يقرأ فيه سطرًا ، لأنه راح يرفيع

ماريانكا ، بعد ان ذهبت بالايقار والجاموس الى المراعى ! وصادت  
لتقوم بأعمال البيت ، ويتأمل كل حركة وسكنة منها وكانت هي  
تختلس النظر اليه بين الحين والآخر وتلتصع فى عينها نظرة الغناة  
المزهرة بجمالها .. الشامرة بنائير هذا العمال على قلوب الرجال  
ومحاة اقل لمنسكى فى ملابس ضابط بالجينى القوزاقى وقال  
لأولتين محببا :

- طاب يومك يا صديقى العزيز ؟

فصافحه أولتى قائلا :

- طاب صاحك يا بلنسكى .. ما الذى دعاك الى الاستيقاظ  
فى هذه الساعة المبكرة !

- ليس الامر بيدى .. لقد ايقظونى مبكرا للاستعداد لحفلة  
العشاء اللبة فى بيت اوسنكا .. هل ستأتين باماريانكا ؟

ودهن أولتين حين رأى بلنسكى يتحدث الى ماريانكا وكأنه  
مرفها منذ مدة طويلة ، على ان ماريانكا تركت العشاء ، وكأنها لم  
سمع شيئا ، وانجبت نحو حظيرة الابقار .

وصاح بلنسكى قائلا :

- هل تشعربن بالخجل منى بافتاتى الجميلة ؟

لم اردف قائلا لأولتين :

- الواقع انها تشعربن بالخجل منك انت يا أولتين .  
وقال أولتين :

- ما هذه الوليمة التى تحدث عنها يا بلنسكى ؟

- ان اوسنكا ستقيمها اللبة فى مسكنها ، على نفقتى طيبا .  
وصوف يحضرها عدد من عذارى القرية ، وسناكل فيها الوتام  
الطعام القوزاقى النسى .. وقد جئت لادعوك .

وقال أولتين :

- ولكن ماذا سنفعل فى هذه الوليمة ؟

وقمز بلنسكى بعينه وهو يرمى الى حظيرة الابقار ، واضطرم  
وجه أولتين وقال وهو يهز كتفيه :

— انك شاب غريب الاطوار يا بلنسكى .

— اوه . . دعك من المراوغة وصارحنى بالحقيقة .

وقطب اولنين بجيبينه ، ولكن بلنسكى ابتسم فى مكر وقال :

— هلم صارحنى ! هل تريد ان تقول انك لا . . لا تستمتع

بوقتك مع فتاة جميلة كهذه . . وانت تسكن معها فى مكان واحد ؟ .

ولما صمت اولنين ، قال بلنسكى كأنما يحدث نفسه :

— انها انموذج للجمال الكامل .

— نعم . . انها جميلة الى حد مذهب بلنسكى .

— حسنا . . وماذا بعد !

— ربما تدهش يا بلنسكى حين تعرف الحقيقة . اننى منذ اقامت

هنا لا اهتم بالنساء ولماذا اهتم بهن والفوارق بينى وبينهن ضخمة !

اما ابروشكا الصياد العجوز ! فالامر معه يختلف . . اننا نشترك

معاً فى هواية الصيد .

فقال بلنسكى ضاحكاً :

— ولكن الامر معى يختلف . ان النساء فى نظرى هن النساء

فى كل مكان وفى اى مكان . . المرأة هى المرأة ! سواء فى موسكو

او فى القوزاق .

فهر اولنين رأسه وقال :

— لا يا عزيزى ! اننى لابعث بالنساء فى موسكو ولكننى

لا احترمهن . . اما نساء هذه القرية فانى اشعر نحوهن بالاحترام

الكامل !

— حسنا . . استمر فى احترامك لهن . . ولن يمنحك احداً

ولم يجب اولنين . وكان يبدو عليه انه يريد الاستمرار فى

الاعراب عن رايه بالنسبة للمرأة القوزاقية . . ومن ثم استطراد

يقول :

— اعرف اننى شاذ فى تصرفاتى امامك . ولكن الحياة هنا

جعلتنى اعتنق ميادىء معينة اهمها الحرص على احترام نفسي

واحترام غيري ، وهذه المبادئ تملأ قلبي بالرضا والنفطة . ولو  
أنتى سرت في طريقك . لفقدت هذا الشعور بالسعادة . وعندما  
هذا فأنا اطلع الى شئ مختلف ، وقد وجدت هنا لونا مختلفا من  
الوان الحياة وهذا مالا تراه أنت .

ورفع بلنسكى عينيه في عجب وقال :

- على كل حال ارجو ان تحضر الوليمة الليلة وستكون ماويانكا  
معنا . وتأكد انى سأعرفك بها . وارجو الا تخلف . ويمكنك ان  
تنصرف في اى وقت اذا شعرت بالملل . . فهل سنأتى ؟  
- نعم . . ولكننى اصارحك بانى أختى على بعض من الوفوع  
أقوى الحب .

فضحك بلنسكى عاليا وقال :

- اها ! سوف ارعاك واحرمك . . فهل سنأتى ؟  
- سأحاول . .

- اوه . . ما هذا بحق السماء ! لماذا تعينى ها كالراهب  
يا أولتى ؟ ايليق ان ترهب في قرية زاخرة بالجميلات العائسات ؟ .  
لماذا تفقد حياتك وتحرم نفسك مباهجها ؟ هل سمعت ان فرقنا  
سوف ننفل الى نوزدشك .  
فرد أولتى قائلا :

- لا لم اسمع ! وانما سمعت فقط ان الفرقة الثامنة هي التى  
تنتقل الى هناك .

- لقد تسلمت رسالة من رئيس أركان القيادة العليا يخبرنى  
أقبحها ان فرقنا سوف ترسل الى ميدان القتال فى نوزدشك . وانى  
سعيد بهذا ، لأنى ضقت ذرعا بحياة الخمول والركود هنا .  
- لقد سمعت أننا نستعد للقيام باغارة قريبة .

- اننى لم اسمع بهذا ، ولكننى علمت ان كردنوفزن ال وسم  
القديسة حنة لحسن بلانه فى الاغارة السابقة . وكان المسكين يمنى  
ان يرفى الى رتبة يوزباشى . . ومن ثم ذهب الى قيادة الجيش .  
واستمر بلنسكى فى الثثرة حتى انصرف .

وعند اقتراب المساء ، تحولت افكار اولتين الى الحفلة التي  
دعاه اليها صديقه الامير . واستبدت به الحيرة . كان يريد ان يذهب  
وكان في الوقت نفسه يحشى ان يبدو غريبا مطوبا على نفسه . .  
وكان يعلم ان مثل هذه الحفلات لا يحضرها الرجال او النساء  
والمحاضر . رائعا الفتيات فقط . فكيف ستكون وكيف سينصرف  
خلالها . . . وماذا يقول ، وعن اى شيء سيدور الحديث وكيف  
سينصرف مع هؤلاء العذارى الفوزانيات الوحشييات . . . واذا  
حضرت ماريانكا . فماذا يقول لها ، وكيف سينصرف معها ، يمكن  
ان يوطد علاقته بها رغم نفورها منه . ان بلنسكى يؤكد له ان المرأة  
هى المرأة . . فى موسكو ، او فى القوزاق ، فهل يذهب ليرى مقدار  
ما فى هذه الآراء من حكمة ؟ .

وخرج من الكوخ مرتدبا اجمل ملابسه . ولما وصل فى مسيره  
الى بيت بلنسكى لم يسمعه الا ان يدخل .

وكان كوخ بلنسكى يشبه تماما كوخ اولتين . كان يقوم على  
دعائم خشبية يرتفع عن الارض نحو خمس اقدام ، ويتكون من غرفتين  
الاولى تحوى - كما لاحظ اولتين عند دخوله - على حشائى من  
البريش ووسائد وسجاجيد منسقة فى جوانب الغرفة بلدق جميل ،  
وعلى الحدران راي الأسلحة ، والأواني النحاسية معلقة ، ونحت  
احدى الارائك شاهد كمية من البطيخ والشمام . اما الغرفة الاخرى  
فكان بها فرن كبير ، ومائدة ، واريكار وبعض الاغونات المعلقة بالوان  
زاهية . وكانت هذه الغرفة هى المخصصة لاقامة بلنسكى ومن لم  
يكن يصح فيها، سريره الصغير وحوائثه وحاجات السفر .

اما بلنسكى نفسه فكان راقدا فى سريره ، مرتدبا قميصا  
وسراويل ، وبفرا كتابا فرنسيا . وما ان وقعت نظرائه على اولتين  
حتى وثب وقال هاتفا مرحبا :

- آه . . لقد جئت ! اترى كيف امشيت يا صديقى ؟ لا بأس . .  
آه اتنى مسرور بحضورك . . وبهذه المناسبة احرك ان الاستعدادات  
للحفلة قائمة على قدم وساق . ان العطاير القوزاقية شبيهة المذاق  
اتها محشوة باللحم والريب ، انظر الى مايجرى فى كوخ اوستنكا

وتنظر أولتين من النافذة ، وراى مددا من الفتيات يهرعن الى  
الكوخ وهن حاملات الاوعية والادوية والطبايق الطعام والشراب .  
وصاح بلنسكى قائلا له

- هل تعددت كل شيء ، نانات .

وردت اوسنسكا قائلة :

- بعد لحظات اخرى .. هل « بابا » حائض .

لم انلت الى غرفته بجسمها المملوء . وقد شمرت عن مساعدتها  
لتحمل بعض الاواني .. ولما حاول بلنسكى ان يداعبها ، راعته  
وهي تضحك قائلة :

- حذار يا « بابا » .. ان الاواني قد تنفع من يدى .

ثم قالت لاولتى وهى مسرعة الى الفكك

- يحسن ان تاتى وتساعدنا فى الامداد . ولا تنس ان تحضر  
معك بعض الحلوى للنات .

وكانت تعمد بالحلوى فطائر الزنجبيل والبونبون .

- وهل حضرت ماريانكا .

- نعم .. طعا .. وقد حضرت لنا معها بعض المكسرات .

وقال بلنسكى لاولتين بعد انصراف اوسنسكا :

- اعرف لو اننى جعلت اوسنسكا برندى وتنزبن على نعط

النساء فى موسكو ، لبدت لهن ، احمل منهن جمعا . ارايت تلك

المرأة القوزاقية التى تزوجها الكولوبيل بورشيف انها اروع من ملكة

فى جمالها وعظمتها .

فرد اولتى قائلا :

- اننى لاعرف روعة بورشيف ، ولكنى لامتقصد ان المرأة

القوزاقية تبدو احمل وانهر فى ملابس اخرى غير ملابسها الوطنية

هذه .

وتنهى بلنسكى فى ارباب وقال :

- اننى سعيد بقدرتى على التكيف مع اى لون من الوان الحياة

معنا سوف اذهب وارى ماذا يفعلن .

ثم مضى وقال وهو يسرع بالخروج :

- ولا تنس أنت أن تحضر معك الحلوى .  
وقدم أولتين مبلغا كبيرا لجندى المراسلة الخاص ببلنسكى وطلب  
منه ان يشتري كمية من فطائر الزنجيل والبونون ..  
وساله الجندى قائلا :

- كم فطيرة زنجيل اشتريتها وكم فطيرة بعمل النحل ؟
- اشترى اى عدد تشاء .
- هل انفق المبلغ كله ؟
- نعم .. كل المبلغ .
- وجلس أولتين الى المائدة يرقب مايحرى فى كوخ اوستنكا .

وكان يسمع من مكانه رنين ضحكات الفتيات وهن يتسابقن  
الى اعداد الحملة وقد ازداد ضحكهن عندما رآهن يتردن بلنسكى  
من الكوخ . وعاد الشاب يضحك عاليا ويحدث أولتين بما فعله معهن  
وبعد لحظات ، اقبلت اوستنكا بكل وقار ودعت الشابين الى الحفلة  
قائلة ان كل شىء قد تم اعداده .

ولما دخلوا الكوخ الآخر ، وجد أولتين ان كل شىء قد تم اعداده  
حقا .. كانت الحنايا والوسائد موضوعة بجوار الجدران فى  
تنسيق جميل ، وكانت المائدة المنخفضة فى وسط الغرفة تعمل  
اوعية النبيذ والكنوس والعطائر المختلفة واللوان من الاسماك المجففة  
واللحوم الباردة . وفى ركن من الغرفة ، بجوار الفرن ، كان ثمة  
صت فتيات فى ملابسهن الحريرية الزاهية ، وبلا عصائب على  
رءوسهن ، يتبادلن الاحاديث والضحكات .

وقالت اوستنكا لضيفيها :

- ارجوا ان تشرفوني وتقدموا الى المائدة .

ولما رأى أولتين مارياتكا بين الفتيات - الجميلات جميعا - شعس  
بالحرج الشديد ولم يدر ماذا يقول . ومرة اخرى احس انه غريب  
فى هذا المكان . ولكنه قرر ان يقلد بلنسكى فى كل مايقول او يفعل  
وتقدم بلنسكى نحو المائدة فى وقار ، ورفع كأسه ليشرب تخبيا  
اوستنكا . ثم دعا الفتيات ليشربن معه . ولكن اوستنكا قالت :



- ان النقايد تمنع الفتيات من شرب النبيذ في هذه الحفلات

وهنا قالت الفتيات بصوت جماعي :

- ولكننا لا نجد بأسا من ان نشربه ممزوجا بمسل النحل !

وفي تلك اللحظة اقبل جندي المراسلة يحمل لفائف كبيرة من  
القطاير والحلوى ، واستقبلته الفتيات بالهتاف والترحيب ، وسرعان  
ما اخذ اولنن يوزع عليهن هداياه ، وبعدها اخذت الفتيات والسبايا  
ياكلون ويشربون ويتبادلون القزل والضحك .

ورغم هذا كله ، فقد ظل اولنن يشعر بالحرج والارياك كلما  
تلاقى نظراته بنظرات مارياتكا .

## الفصل الثاني عشر

### بشار على حب ما ياب

- قال بلنسى لماريانكا بعد ان فرغوا من الطعام :
- ماريانكا .. كيف لم تعرفنى حتى الآن بنزيلكم اولئين ؟
- فقال ماريانكا وهى ترسل نظراتها الى اولئين :
- وكيف اعرف عليه وهو لم يحاول ان يزورنا يوما ؟
- وجفل اولئين واضطرب وجهه ..
- وقال بلا تفكير :
- اننى ما زلت خائفا من والدك منذ استقبلتنى اول مرة ..
- فاتفجرت ماريانكا ضاحكة وقالت :
- اذن فانت خائف منها ؟
- لم استدارت منه .
- وكانت اول مرة يرى فيها اولئين وجهها كله ، دون ان تخفى
- بجانبها منه بمندبلها ، ومن ثم ادرك فورا لماذا تسمى فى القرية ملكة
- بجمال النساء .
- ولما استدارت منه ، شعر بالضيق ، وقرر ان ينصرف ، ولكن
- بلنسى امسك بذراعه وقال له محتجا :
- الى اين باصديقى ؟
- فقال مراوغا :

• لا اشترى بعض النبع .  
- انتظر وسوف ارسل الجندى التابع لى لشراء ماتريد .  
ثم همس فى اذنه قائلا :  
- لا تنصرف الآن .. سوف نضع نقودا فى اثناء اوسنتكا العضى  
بعد كل كاس نشربها .. هذا هو التقليد المتبع .. لان الليلة عيد  
ميلاد اوسنتكا .

وقال اولين بنفس الصوت الخافت :  
- خذ كل مالى من نقود وضع فى انائها ماتريد بدلا منى ..  
لقد شربت كفايتى .

- لا .. اذا انصرفت الآن سوف تكون موضع احتقار الجميع .  
ولم يمع اولين الا ان يقى ، والا ان يشرب النبيذ على الطريقة  
القوزاقية المبعة فى مثل هذه الحفلات ، اى من حافة الوعاء الخشبى  
الكبير مباشرة . وسرمان ما اتشى بالخمر ، فنسى حرجه وارتيابه  
وشعر بالرغبة فى الاندماج مع بقية المدعوين ومبادلتهم الحديث  
والضحك .

وقال بلنسكى وهو يمسك بمعصم ماريانكا :  
- هلى يا ماريانكا .. لقد جاء دورك لتقديم البنا الخمس  
والقبل .  
فتظاهرت ماريانكا بلكم بلنسكى على وجهه وهى تضحك  
قائلة :

- هذه هى قبلاتى .  
وقالت احدى الفتيات بصوت كتفريد البلابل :  
- ان «بابا» مسموح له باخذ هبة دون ان يدفع الثمن .  
فامسك بها بلنسكى وقبلها رغما عنها وهو يقول :  
- اذن لا بد لك ابنتا الحناء الصغيرة .

ثم استدار الى ماريانكا واردف قائلا :  
- هلى يا ماريانكا .. قدمى كاسا لتزيليكم .  
ثم امسك بيدها وقادها الى الأريكة التى جلس عليها اولين  
وجعلها تجلس بجواره ، ثم ادار وجهها بيده نحو صديقه وقال لها :

- ألا ترى ! البستت رمزا للجمال ؟ -

واستجابت ماريانكا لتصرفات بلنسكى ، وراحت تنظر الى اولئين وهى تبتسم فى زهو وكبرياء .

وعاد بلنسكى يقول :

- انها الجمال الكامل ! -

وكانت نظرات ماريانكا تقول بوضوح :

- « نعم .. ألا ترى الى اى حد انا جميلة ؟ » -

ودون ان يعرف ماذا هو فاعل ، القى اولئين ذراعيه حول ماريانكا وحاول ان يعبلها . ولكنها تخلصت منه بسرعة - واندفعت نحو الفرن وحصدت بلنسكى واسقطت الكاس من يده . وارتفعت الضحكات الى جوانب الغرفة ، وهمس بلنسكى شيئا فى اذان الفتيات . ،  
فاندفعن معه الى باب الغرفة واغلقنه ووقفن معه خارجه ليمنعن ماريانكا من الخروج .

وسال اولئين قائلا :

- عجباً ! لماذا تسمحين لبلنسكى بتقبيلك ولا تسمحين لى ! -

- اتنى لا اريد هذا .. وهذا كل شئ .

ثم قطبت جبينها ورفعت راسها واردفنت قائلة :

- انه « بابا » لنا جميعا .

ثم اتجهت نحو الباب المغلق : وراحت تدق عليه بقيضنها وهى تهتف قائلة :

- لماذا تغلقن الباب اينها الشيطانات ! -

وقال اولئين وهو يقترب منها :

- حسنا .. دعى الجميع خارج الغرفة .. ويكفى ان ابقى انا  
واكنت فيها .. بمفردنا . -

وَقَطَّبْتَ مَرَّةً أُخْرَى جَبِينَهَا ، وَدَقَّقْتَ بَعِيدًا عَنْهَا قُوَّةً ، لَمْ وَفَّقْتَ  
لِى كَبِيرَاءَ وَتَحَدَّ مَا جَمَلَ أَوْلَئِينَ يَسْتُرِدُّ صَوَابَهُ وَيُخْجَلُّ مِنْ تَصَرُّفَاتِهِ  
وَرَمَضَى إِلَى الْبَابِ بِدَقِّ عَلَيْهِ قَائِلًا :

- بَلَسْكَى .. افْتَحِ الْبَابَ وَلْنَضَعْ حِذَا لِهَذِهِ الْحَمَافَاتِ .

وَفُجَاءَةً أَطْلَقَتْ مَارِيَانَا ضَحْكَةً عَابِثَةً وَقَالَتْ :

- أَذْنُ فَاثَتْ خَائِفٌ مِنِّى .

- نَعَمْ .. أَنْتَ حَادَةُ الطَّبْعِ مِثْلَ وَالِدَتِكَ .

- حَسَنًا .. اسْمَعْ مَا سَأَقُولُهُ لَكَ .. اسْتَمِرْ فِى انْفِاقِ وَقْتِكَ

إِكْلَهُ مَعَ الْمَجُوزِ ابْرُوشْكَ .. وَبِذَلِكَ صُوفُ يَزْدَادُ حُبَّ الْبَيَاتِ لَكَ  
يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ .

وَكَانَتْ قَدْ اقْتَرَبَتْ بِوَجْهِهَا مِنْ وَجْهِهِ ، وَرَكَزَتْ بَعْرَافَهَا فِى عَيْنَيْهِ  
وَهى لَبَسَتْ . وَلَمْ يَدْرِ هُوَ مَاذَا يَقُولُ .

وَلَكِنَّ تَعْنَمٍ مَنَعْنَمًا :

- وَلِنَفْرَضِ أَنِّى جُنُبُ ذَاتِ يَوْمٍ لِّزِيَارَتِكُمْ .. فَهَلْ ..

فَطُوحَتْ بِرَأْسِهَا وَقَالَتْ :

- أَنْ الْأَمْرَ عِنْدُنَا سَيُخْتَلَفُ .

وَفِى تِلْكَ اللَّحْظَةِ فَتَحَ بَلَسْكَى الْبَابَ ، فَتَوَلَّيَتْ مَارِيَانَا بِمِيسَا  
مِنْ أَوْلَئِينَ إِلَّا أَنَّهُمَا احْتَكَّتْ بِهِ وَهى لَبِيبٌ .

وَقَالَ أَوْلَئِينَ لِنَفْسِهِ بِسْرَمَةٍ :

« لَقَدْ كُنْتُ أَوْهَمُ نَفْسِى بِكُلِّ هَذَا الْحُبِّ بَيْنَهَا وَبَيْنَ لَبُوكَا .. إِنَّهُ  
مَجْرَدٌ وَهْمٌ لِأَسَاسٍ لَهُ .. وَعَلَى مَنْ لَمْ أَنْ أَلْصُقْ كَمَا سَمِعْتُ حَتَّى  
لَا تَقْلَتِ السَّعَادَةُ مِنْ بَدَى . »

وَبِسْرَمَةٍ مَفَاجِئَةً لِلْحَمِيعِ « طَوَّقَتْ مَارِيَانَا بِدِرَاعِيهِ وَفَلَّ جَبِينَهَا  
وَوَجَّهَتْهَا ، وَلَمْ تَتَرَاوَعْ هِىَ ، وَلَمْ تَفْضَحْ . وَأَمَّا امْجَرَتْ ضَااحِكَةً

واسرعت الى خارج الفسقة لتنضم الى الفتيات وبذلك  
انتهت السهرة .

\*\*\*

قال أولئين لنفسه وهو في طريق العودة الى مسكنه ؟  
- نعم .. اذا لم اقبض بيد من حديد على زمام عواطفى ، فمن  
المحتمل ان اقع فى شرك الحب مع هذه العذراء الفوزانية الساحرة .  
واوى الى فراشه وهذه الفكرة لراوده ، وكان يتوقع ان يتلاشى  
هذا الاحساس كله فى الصباح ، ومن ثم يستأنف حياته الهادئة  
الرتيبة كما كان يفعل من قبل . ولكن هذا لم يحدث . لقد تطورت  
علاقته بماريانكا ، وبدأ كانه الجدار الذى طافا فصل بينهما قد انهار ،  
واصبح أولئين قادرا على ان يتبادل معها عبارات النحية كلما  
التقى بها .

ولما اقبل والدها لياخذ ايجار الكوخ ، وكان قد علم بشراء هذا  
التزبل المبسوط البد ، اسرع ودعاه لزيارتهم . واستقبلته الام  
المعجوز فى عطف وترحاب . ومنذ ذلك الحين اخذ يزور الاسرة  
ويجلس مع فرادها حتى ساعة متأخرة من الليل . وكانت حياته  
- ظاهريا - فى القرية لا تكاد تختلف عما كانت عليه من قبل ، اما  
اقى الحقيقة ، او فى اعماق نفسه . فكان كل شيء قد اختلف الى  
بعد بعيد . كان يقضى ساعات النهار كل يوم فى الغابة ، ثم يعود  
الى الثامنة الى مسكنه ، وبعد ان يفتسل ويغمر من وجبة العشاء  
يمضى لزيارة اسرة ماريانكا ، بمفرده أحيانا .. وأحيانا مع الصبا  
المعجوز ابروشكا . وسرمان ما تعودت الاسرة زيارته هذه بحيث  
اذا تخلف ليلة ، سال عنه الوالد ، او الوائدة للأطمئنان عليه . وكان  
أكريما مبسوط البد فى معاملاته ، وكان فايوشا يحضر اليه فى اثناء  
زيارته للأسرة : الشاي ، وكان هو يجلس فى ركن الغرفة على حنية  
من الرشى بجوار الفرن ، وكانت الام المعجوز تمضى فى عملها سلا  
لزام . ومع الشاي ، او النيلة ، كانت الأحاديث تدور حول  
شئون القرية او اخبار الجيران .. وأحيانا كان أولئين يجيب عن  
استئناهم ويخبرهم بما يعرف من الحياة فى روسيا وفى أحيان أخرى

إكان يأتي معه بكتاب ويقرأ . وكانت ماريانكا - كالغزال البريء -  
تقع في ركن آخر ، أو فوق القرن ، ولا تسترك في الأحاديث . .  
ولكن أولئحين كان يرى عينيها ووجهها ويسمع حركاتها وقرقرتها للبه  
القرع الصلى ، ويشعر أنها تنصت إليه بكل كيائها كلما تحدث . .  
لما كان يحس بوجودها دائما كلما راح يقرأ كتابا لنفسه ، وفي بعض  
الآحيان كان يخيل إليه أن نظراتها مركزة عليه ، فإذا التفت عيونهما  
مكن في موضعه وركز نظراته عليها ، وعندئذ كانت تسرع وتشيح  
بوجهها في ارتباك ، وينتظر بالاستغراق في الحديث مع الأم العجوز  
وإن كان في الحقيقة مرهف السمع إلى كل حركة تبدو من ماريانكا  
منتظرا أن تعيد النظر إليه لكي تتلاقى عيونهما مرة بعد الأخرى . .  
فإذا حضر زائرون آخرون ، فإنها تخرج من عزلتها وتسترك في  
الأحاديث والضحكات ، وتغدو ودودا طروبيا . وكان أولئحين يشعر  
بسمادة بالغة كلما رأى بريق الرضا يلعب في عينيها حين تلتقى به  
بحبة في فناء الكوخ أو في القرية .

وكان هو لا يريد منها شيئا ، ولا ينتظر أن ينال شيئا . . ولكن  
أحاسيس باهية وجودها في حياته كان يرداد يوما بعد يوم .

ومن ناحيته هو فقد غدا يشعر أنه اندمج في الحياة القوزاقية  
اتدمجا جعل ماضيه يبدو غريبا عنه . وأما عن المستقبل ، فإنه لم  
يكن يهتم إطلاقا بأي مستقبل خارج حياته في هذه القرية . ومن  
ثم كان يشعر بأشد الاستياء والاستنكار كلما قرأ رسائل أهله  
وأصدقائه إليه . . تلك الرسائل التي يكونه قبحا وبغضونه مفقودا  
أو مينا ، هذا على حين كان يشعر في قرارة نفسه أن هؤلاء الأقارب  
والأصدقاء هم المفقودون وهم المبتون ، لأنهم لا ينعمون بهذه الحياة  
الراخرة بالأمن والسلام ، التي يحياها في القرية القوزاقية .

وكان دائما تماما بأنه ليس نادما على قطع كل الوشائج التي  
تربطه بحياته القديمة . ذلك لأنه كُن يستمتع بحياته المسكينة  
وبالصيد في الغابة ، وبالحديث مع أيروشكا الصياد العجوز . .  
وبالقرب من ماريانكا .

انه هنا يرداد مع كل يوم احساسا بالحربة وبالرجولة .. وقد  
 ثبت له ان القوزاق يختلفون تماما عما كان يظن او يسمع . انهم  
 ليسوا همجا او متوحشين ، وليسوا اشرارا او ابطالا .. وانما هم  
 - كما عرفهم عن قريب - قوم يعيشون على الطبيعة - انهم يولدون  
 ويموتون ، ويتزوجون وينجبون ، وينحاربون ، ويأكلون ويشربون ،  
 ويمرحون ويتبادلون الحب .. كل هذا دون ان يفرض عليهم من  
 القيود اكثر مما هو مفروض على مظاهر الطبيعة .. على الشمس  
 والقمر ، على العشب والظل ، على الزهرة والثمرة .. انهم لا يخضمون  
 الا لقوانين الطبيعة .. ولهذا فهم - اذا قارنهم بنفسه - اجمل  
 واغنى ، واكثر حرية ، وان النظر اليهم فيجعل اولين شعربا لاسفه  
 على نفسه .. كثيرا ما كان يخطر بباله ان يبيع كل ممتلكاته ..  
 وينضم للجيش القوزاقى بصفة نهائية ويشترى كوخا جميلا ومزرعة  
 كبيرة . وقطعا من الماشية ، ويتزوج بفتاة قوزاقية « لا تكون  
 ماريانكا التى يحبها ليوكا » ثم يقضى كل يوم مع ابروشكا لصيد  
 السمك او الحيوانات والطيور البرية ، ويشترك مع القوزاقيين فى  
 حملاتهم العسكرية .

وكثيرا ما كان يقول لنفسه :

- لماذا لا افعل هذا ؟ ماذا انتظر ، هل انا خائف من ان افعل  
 الشيء الذى اراه معقولا وصوابا ؟ هل الرغبة فى ان اعيش ببساطة  
 - مثل اى قوزاقى - فى حضن الطبيعة ، لا اؤذى احدا واتماسدى  
 الخير للجميع .. هل رغبة كهذه تعتبر عملا طائشا او املا مخيفا  
 مثل امالى الصيانية السابقة فى ان اكون وزيرا او قائدا عاما  
 للجيش .

ومع هذا كان يسمع فى قرارة نفسه صوتا يهمس له بوجود  
 التريث فى اتخاذ مثل هذه الخطوة . وكان هذا الصوت نابعا من  
 تفكيره فى انه لا يستطيع ان يحيا كما يحيا ليوكا او ابروشكا .. لان  
 آراءه فى السعادة تختلف عن آرائهما .



كان رايه في السعادة انها لا تكتمل الا بانكار الذات والتضحية  
بالمصالح الشخصية والمآرب الدالية من اجل الغير . . وان هديته  
التي قدمها لليونكا لكي يسهل له امر الزواج من ماريانكا قد ملأت  
قلبه بالرضى والسعادة . وانه من لم يبحث عن الفرص التي تتبع  
له اسعاد الغير . ورغم لحظات الضعف التي كانت تغربه بان يعيش  
كما يعيش ليونكا او الصياد ايروشكا ، الا انه كان دائما يحلق في  
سماوات انكار الذات وينظر من مكانه الرليع في هدوء واطمئنان  
الى الناس والى ما ينبغي ان يفعل من اجل اسعادهم ا .

## الفصل الثالث عشر

### المطبك

أقبل ليوكا راكسا جوادا للزيارة أولتين قبل موسم الحصاد بإيام  
مقليلة وبعد ان سدلا التحية بمودة وإخاء .  
قال له أولتين :

- متى سنم زواجك أ .

ولم يحب ليوكا فورا . . وإنما قال مشيرا الى جواده :

- انرى هذا الجواد الجديد الذى استبدلته بجوانك . .  
اليس رائعا أ .

وفحص الانسان الجواد الجديد ، وكان رائعا فعلا . . ولم يستطع  
أولتين ان يملك نفسه من الإعجاب به . . قائلا انه لم ير فى حياته  
جوادا احسن منه .

وربت ليوكا عنق الجواد وقال :

- وهو ذكى ايضا . . بتبغنى ابنما سرت . . ولا يلحق به جواد  
آخر .

- هل ذهبت مبلغا كبيرا فى سبيل الحول عليه أ .

وابسم ليوكا قائلا :

- اننى لا ادرى .. لقد جاملنى فيه صديق ..

- انه جواد رائع فعلا .. مدهش ، بكم تبيعه ؟

- لقد مرخت على مائة وخمسون روبلا لئلا له . ولكننى على

استعداد لان اقدمه هدية خالصة لك .. اطلبه وانا ابيع لك ..  
ويمكنك ان تعطبنى بدلا منه اى جواد عجول عندك .

فنهف اولئين قائلا :

- لا .. لا .. اننى لا افل هذا حق السماء .

فتناول ليوكا من حزامه خنجرا من طراز فاخر وقدمه الى

اولئين قائلا :

- اذن ارجو على الاقل ان تقبل هذا الخنجر هدية منى .. لقد

ظفرت به من الضفة الاخرى من النهر .. من بلاد التتر .

- شكرا جزيلا يا صديقى .

- وقد وعدت امى ان يدم اليك كمية كبير من العنب عند

الحصاد ..

- لادامى لذلك .. لسوف تسوى كل شئ بيننا يوما .. ثم

اتنى لن ادفع لك ثمن هذا الخنجر .. اليس هذا ما تريد ؟

- نعم .. نعم ، اننا صديقان حميمان ، تماما كما هو الشأن

مع صديقى جبرى خان . لقد اخذنى الى بيته وطلب منى ان اخذ

اية هدية اريد وقد اخترت سيفا تتربا من النوع العسير .. الممتاز .

ودخل الاثنان الكوخ ليشربا بعض النبيذ .

وقال اولئين :

- هل ستمكث هنا طويلا ؟

- لا .. لقد جئت لادعك فقط . انهم يقومون بحملة

مكبرية عبر نهر تيريك وسنمضى الليلة ، وسيكون صديقى نازار

معى ..

- ولكن ماذا عن الزواج امتى سينم ؟

فرد ليوكا فى غير اهتمام :





- لسوك احضر في اجازة قصيرة لالمام الخطبة .. لم اعود الى  
فروقتي ..

- ولكن .. الى تذهب لزيارة فتاتك اليوم ؟

- وما فائدة هذا ؟ حسنا ! عندما تقوم مع فروقتك بحملة  
عسكرية عبر النهر ، فلا تنس ان تسال عن ليوكا .. ليوكا الشجاع  
وعندئذ سوف اصحبك الى رحلات لصيد الخنازير البرية ، اننى  
اعرف مواطنها .

- حسنا يا ليوكا .. وداعا ، وليكن الحظ معك .

واعتنى ليوكا بظهر جواده ، وانطلق في الشارع دون ان يلقى  
لقظة على كوخ ماريانكا .. ولم يلبث ان انضم الى صديقه نازار الذى  
كان فى انتظاره .

وقال نازار وهو يومئ براسه الى كوخ يامكا ، صاحبة الحانة  
- هه ، ماريانكا ؟ .. هل يدخل ؟

- آه .. لا بأس .. خذ جوادى هذا اليها ، واذا تم احضرو  
بسرعة : يمكنك ان تقدم له بعض المشرب .. وسوف انضم  
الى الفرقة غدا صباحا .

- وماذا عن صاحبنا الروسى .. هل ظفرت منه بشئ جديد ؟

- لا .. وقد جوت لحسن الحظ بجوادى منه .. كان يريد  
ان يأخذه .

لم يرجل عن الجواد ، وسلم عنائه لنازار قائلا :

- اذهب به الى يامكا .. اما انا فصوف امضى اولا الى ماريانكا .

ولعل - دون ان يراه احد - عائده الى نافذة كوخ ماريانكا  
وهناك راها فى الفرفة الامامية واقعة امام المراة تنزبن استعدادا  
للسوم ..

وهصر لها قائلا :

- ماريانكا .. اننى ليوكا .

واشرق وجه ماريانكا بالسعادة حين سمعت صوته ، واسرعت  
الى النافذة ورفعت مصراعها . همست قائلة فى خوف ولهفة :

- آه .. ماهذا ؟ ماذا تريد باليوكا -

- اسمحي لي بالدخول لحظة واحدة .. اننى اكاد اموت شوقا اليك .. لم يعد فى مقدورى الصبر اكثر من هذا .

ثم جذب رأسها من النافذة وقبلها بحرارة قائلا فى همس !  
- افتحي لي الباب .. ارجوك .

- انك تضيق وقتك سدى .. منذ متى وانت تنتظر ؟

ولم يجب .. وانما استمر فى تقيلها .. وكان يهمس فى لهفة :

- اتريين ؟ اننى عاجز حتى عن عنافك بسبب ضيق هذه النافذة .

وعندئذ سمع الاثنان صوت الأم !! حوز وهى تقول :

- ماريانكا ! مع من تحدثين يا حبيبتى ؟

ورفع ليوكا قلنسوته التى قد نكسها .. وفتح تحت النافذة الى سكون ، على حين همست له ماريانكا قائلة :

- انصرف .. بسرعة .

ثم رفعت صوتها وقالت لأمها :

- انه ليوكا يا امه .. كان يريد ان يرى أبى .

- حسنا .. دعيه يدخل .

- لقد انصرف .. قال ان وقته ضيق .

ومضى ليوكا بعيدا ، وهو لا يزال منحبا ، واتجه نحو كوخ يامكا دون ان يراه احد غير أولئتين . وفى كوخ يامكا ، شرب مع نازار رجاجة او اثنين من النبيذ الأحمر قبل ان يخرج من القرية . ومضى الاثنان فى طريقهما يرفرف عليهما الصمت ، وفجأة رفع ليوكا عقيرته بالغناء .. وبعد ان فرغ من العقرة الأولى ، اتجه الى نازار وقال له :

- اتعرف ! لقد ابت ماريانكا ان تسمح لي بالدخول .

- اوه .. كنت اتوقع هذا . لقد قالت لي يامكا ان صاحبنا

الروسى بدأ يزور أسرته وان ابروشكا العجوز يسبع فى القرية

انه سيطفر من الروسى بشدقة جديدة عندما يساعده على الظن  
يقلب ماريانكا .

فصاح ليوكا قائلاً فى غضب :

— آه ، يا لذلك الشيطان العجوز . . انها ليست فتاة من هذا  
النوع . . وعلى ذلك الروسى ان يحذر ، والا حطمت ضلوعه .

ثم اسطق بروداغثينه المحبوبة :

■ من قرية اسماعيلوف . .

■ ومن بستان السيد المحبوب . .

■ طار ذات يوم — بازى — خفيف الجناح . .

■ ومن ورائه أسرع الصياد الشاب . .

■ وراح بلوح للبارى الجميل بيده اليمنى .

■ ولكن البارى الجميل اجاب قائلاً :

■ ان تفصك الذهبى لن يضمنى ابدا .

■ وان يدك اليمنى لن تمسك بى ابدا .

■ وانما انا سأطير حراً الى البحر الأزرق .

■ وهناك سأظفر بجعة بيضاء . . بيضاء . .

■ ومن لحم البجعة البيضاء ، سأملأ معدتى .

\*\*\*

واقم الاحتفال بالخطبة فى بيت والد ماريانكا . وكان ليوكا  
قد حضر فى اجازة قصيرة الا انه لم يذهب لزيارة أولتين . . ولم  
يذهب أولتين ليشهد الاحتفال بخطبته على ماريانكا وذلك برغم انه  
كان احد المدعوين اليه . . كار يشعر بالحزن بعنصر قلبه . . ومن  
ثم اغلق باب الغرفة على نفسه ، وراح يكتب فى مفكرته :

« لقد فكرت فى اشياء كثيرة فى الآونة الأخيرة ، ولكننى برغم  
تفكيرى هذا لم اتزحزح عن ايمانى بان الطريق الوحيد الى السعادة  
الحقة الكاملة هو ان يحب الانسان ، ان يحب ويحب منكراً ذاته . .  
ان يحب كل الناس . . وكل شيء . . أن يظلل بالحب كل الذين  
حولهم . . وقد ظلمت بالحب فانيوشا ، وايروشكا ، وليوكا ، وماريانكا



وما كاد يفرغ من مبارته الأخيرة ، حتى اقبل عليه الصياد  
المجور ابروشكا وهو فى حالة انتشاء ، حاملا معه آلة البلايكا  
الموسيقية ، فلما رأى اولئين مشغولا بالكتابة قال له هانما كان  
هناك روحا لرفرف على الغرفة :

- استمر فى الكتابة باولدى .. وساجلس انا على الأرض  
بجانبك فى صمت ..

وامر اولئين تابعه فانبوشا باحضار بعض النيل الاحمر  
لابروشكا ، ولكن الصياد المحوز لم يكن رافضا فى الشرب بمفرده  
وانما كان ملهوبا الى التحدث مع شخص ما وهو من هذه الحالة  
من النسوة .  
وهمر قائلا :

- لقد ذهبت الى الحفلة .. ولكن حوها لم يعنى .. انهم  
لحنازير جميعا ، ولهذا فضلت الحضور اليك .  
وقال له اولئين وهو لا يزال يكتب .  
- من اين جئت بالبلايكا ؟

- كنت فى الضفة الاخرى من النهر ، وحصلت عليها من اخ  
لى هناك . لئننى بارع فى العزف عليها .. وبمكرر ز اغنى عليها  
الاغانى القوزاقية او التنرية .. اغانى السادة او الرعاع .. استطيع  
ان اغنى عليها اية اغنية تريد .

ورفع اولئين راسه وانسم .. وشجعت ابناتمه الصياد  
المجوز ، وجملته يقول :

- دحك من الكتابة الآن باولدى .. اتنى امرف انهم جرحوا  
اشاعرك . وماذا بهم اضحك من وجوههم وانس كل شئ .. ولكن  
لاجدوى من هذه الكتابة ..

وضحك اولئين ، وشاركه ابروشكا فى الضحك ، ثم وثب  
وتناول آلة البلايكا ، وراح يردد عليها هذه الاعية التنرية :  
" اتنى وقعت فى الحب يوم الاثنين .  
" وتعديت طوال يوم الثلاثاء .

- ❖ وقدمت السؤال يوم الأربعاء .
- ❖ وانتظرت طوال يوم الخميس .
- ❖ وجاءت اجابتها يوم الجمعة .
- ❖ وضاع كل امل لى .
- ❖ وقررت بكل عزم وقوة . .
- ❖ ان انهى حياتى يوم السبت .
- ❖ ولكنى غيرت رايى يوم الاحد .

\*\*\*

واندفع ابروشكا فى الغناء ، وارتفع صوته عاليا ، ومضى الى الغناء الكبير ، وكان كوخ اسرة اربانكا مضاء . واصوات المحطين وضحكاتهم تنساب منه ، وكانت نمة فتيات كثيرات ينحلقن فى السماء الصغير الداخلي او يدخلن الى مكان الاحتفال او يخرجن منه .

واطلق بعض القوزاق طلقات نارية فى الهواء احتفالا بالحطة ، واندفع مصهم الى فناء كوخ اولين وراحوا يرفضون دققات فورافية عنيفة على غناء ابروشكا ونغمات البلايكا .

وقال له اولين :

- لماذا لم تذهب للحفلة .

فقال المجور بصوت الانسان المتألم من شىء :

- دعك منهم . . دعك منهم . . اننى لم استرح اليهم . هلم ندخل الكوخ ونحتفل معا احتفالا خاصا .

وفى داخل الكوخ قال اولين :

- كيف حال ليوكا ؟ . . اهو سعيد ؟ . . لماذا لم يات لزيارتي ؟ .  
فدمدم الرجل المجور قائلا :

- ليوكا ؟ اعرف ماذا قالوا له ، قالوا اننى احاول ان اقدم متانته لك . وكانما ليس فى القرية فتاة اجمل منها . وفى مقدورنا ان نحصل عليها اذا شئت . . ادفع مِلْفا اكبر مما دفعه ليوكا وسوف يزوجها ابوها منك . ويمكننى ان اقوم لك بهذه الخدمة اذا شئت .

- لا باصديقى العزيز .. ان المال لا يستطيع ان يفعل شيئا اذا لم تكن تحبني .. دعنا من الحديث عن هذا الموضوع .

وانفجر المعجوز ابروشكا ، لثاء بالبكاء وهو يقول !

- نعم .. نعم .. اترك على حق .. انهم لا يحبوننا نحن المساكين التمسكين .. لا احد يحبنا .

وشرب اولئين فى تلك الليلة اكثر من المعتاد وهو نصت الى احاديث الصياد المعجوز التى لا تنتهى . وكان بين الحين والآخر يقول لنفسه فى شئ من العراء :

- بكفى ان يكون الحبيبان سعيدين .

ولكن الالم الخفى كان يعنصر قلبه .. وقد حاول حاشدا ان يخفف من الالم بالمزيد من شرب النبيذ الاحمر .. وكلما شعر شقلا راسه قال لنفسه مواسيا :

- ان السعادة الحقة هى انكار الذات من اجل الغير .

وانتهز الصياد المعجوز تلك الفرصة السانحة ، فراح يعب من الشراب بلا حساب .. وما لبث ان سقط فاقد الوعي على ارض الكوخ .

وحار فانبوشا فى امره ، ولم يدرك كيف يستطيع التخلص منه بمفرده : لان سيده اولئين لم يكن . من جانبه ، فى حالة تسمح له بمعاونته . ومن ثم استمدى بعض الجنود . وسحوا الصياد المعجوز الى خارج الكوخ ، وعمر فانبوشا عن استنكاره بالبصق على الارض قبل ان يعود الى غرفته للنوم .

## الفصل الرابع عشر

# الحصار

كان محصول الكروم في ذلك العام وافرا ، ومن ثم كانت الفرحة تملأ قلوب سكان القرية وهم يجمعون الأعناب ، ويتبادلون الأحاديث ويمتلئون الجو ضحكا وغناء .

وفي ظهر ذات يوم كانت ماريانكا جالسة في ظل شجرة خوخ ، تفك لفافة وجبة غذاء الأسرة بعد أن تناولتها من المركبة . وامامها وعلى مفرش من الجلد ، جلس والدها الذي اخذ اجازة من عمله . . . يقبل يديه من ابريق نحاسي ، وشقيقها الاصفر الذي عاد من البحيرة الصغيرة بعد أن غسل فيها وجهه ، والام المجوز وقد شممت من ذراعها وراحت تاكل من ماريانكا ألوان انطعام وترتبها على مائدة منخفضة مستديرة ، وكان الطعام مكونا من عناقيد العنب ، والسمك المجفف ، وبعض شرائح اللحم القديب والقشدة والخبز . وجفف الوالد يديه ، وجلس مترعا امام المائدة ، وشرب الفلام من الابريق على شراعة ، وتربعت الام والابنة الى الجانب الآخر من المائدة . . . وكان الجو حارا خائفا ، والهواء الساخن المنفذ بين أعواد الكروم يويده حرارة . وشرب الوالد بعض النبيذ من الابريق ، ثم قدمه الى الام ، وبعدها الابنة ، ثم الابن . .

وقال الوالد فى لهجة تنم من الغبطة والرضا !  
- بوى هل سنستطيع جمع المحصول من الكرمة التى  
وراء الظلة بل عوط الليل ؟  
فقال زوجته !

- سمكت اذا لم تسقط الامطار .. وعلى كل حال فان ال  
ويمكن لم يجمعوا بعد نصف محصولهم واوسنكا تعمل بمفردها  
ولكاد يموت من فرط الارهاق .  
- وماذا كنت تنتظرين غير هذا !  
وقالت الام المحوز وهى بعدم اربق التيل لانتها ؛  
- اشربى ماحببى .. واسال الله ان يرفقنا بتكاليف حفلة  
تواجبك .

فقال الوالد وهو يعطب جبينه قليلا  
- لا يزال فى الوقت متسع للتفكير فى هذا الامر .  
واطرقنا مارباتكا براسها .. علم حين قالت الام فى اصرار ؟  
- ولماذا لا نتحدث عنه الآن فقد تم كل شئ .. ولم يبق الا  
ان نفكر فى نفقات التعليل .  
- لا داعر للتفكير فى المستقبل . علينا اولا ان نفرغ من جميع  
المحصول .  
وقالت الام المحوز :

- هل رايت جواد ليوكا الحديد؟ انه ليس الجواد الذى اهداه له  
نوبلنا .. وانما هو جواد آخر ..  
فقال الوالد

- لا .. لم اره بعد . ولكننى تحدثت اليوم مع قابوشا التابع  
وعلمت منه ان سده تلقى الف روبل مرة اخرى .  
فاومات المرأة المحوز براسها قائلة !  
- انه مصنوع من المال .. لاشك فى ذلك .

وكانت الاسرة كلها تشعر بالسعادة والرضا ، الا كان العمل  
يجرى باطراد وكان المحصول وافرا والعنب من صنف ممتاز .

وبعد الفراغ من طعام الفداء ، وضعت ماريانكا كمة من المشيب  
 أمام النيران ثم استلقت في ظل المركبة ، وباتت تسريح في فترة  
 القيلولة ولكنها لم تستغرق في النوم فورا ، وإنما راحت تفكر في  
 ليوكا . وفي يوم الزفاف ، ودهشت حين وجدت نفسها لا تتحلى  
 هذا اليوم . . ولم تلبث ان ادركت السر في هذا . . ادركت انها  
 سيدة باهتمام أولئك بها . . سعيدة بنظراته التي سمع عن حبه  
 الكبير لها . .

فلماذا تعجل الزواج من ليوكا !! .

\*\*\*

وقبل ان تستغرق في النوم . اقبلت صديقتها 'اوسينكا' اليها  
 ووقدت بجوارها في ظل المركبة ، ثم اذا هي حامها . تصحك قائلة

- ماريانكا . . اعرفني لماذا جنب اليك ؟

فاعتمدت ماريانكا على مرفقها ورفعت راسها بهدوء وقالت :  
 - لا . . لماذا !! .

- اتنى اعرف شيئا عن تزويجكم أولئك .

- وماذا اعرفين ؟

- هل باتى لزيارتك ؟

- وماذا لو انه باتى ؟

- اوه . . لا تغضبي منى يا ماريانكا . انتم فتاة بسيطة  
 وصريحة ولا اؤذى احدا . لهذا اقول اتنى احبه . . احبه .

- من ؟ بابا يونسكى .

- نعم . . صفا .

- ولكن هذه حطنة يا اوسينكا .

- لا يا ماريانكا . . ان هذه هي الفرصة الوحيدة للاستمتاع  
 بحياتى قبل الزواج . لاننى بعد الزواج مأكور مشغولة بالزواج  
 والاولاد وامباء البت . انظرى الى نفسك انك تنتظرين الزواج من  
 ليوكا دون ان تسنمى بحياتك . .

فقلت ماريانكا :

- ان هناك نساء كثيرات يجدن السعادة الحقة فى الزواج .  
- ارجوك ان تصارحين يا ماريانكا .. ماذا حدث بينك وبين  
ليوكا .

- ام يحدث بينى وبينه شيء . لقد تقدم لخطبى ، وارجا لى  
الموافقة لمدة عام واخيرا تمت الخطبة ، وسوف يتم الزواج فى  
الخريف القادم .

- ولكن ماذا قال لك ؟

فابتسمت ماريانكا وقالت :

- وماذا يمكن ان يقول لى ا قال انه يحبنى ، وظلّ يلح على  
لكى اذهب معه الى ستار الكروم .

- آه .. ذلك الحيث ا وهل ذهبت معه ا انه شاب ممتاز على  
كل حال . وهو شجاع وجريء . ويقولون انه يستمتع بحياته فى  
الجيش ، ولكن المعروف انه يحبك اشد الحب .. وماذا ايضا ..  
ماذا قال لك ايضا ؟

فضحكت ماريانكا وقالت :

- لا شيء اكثر مما تعرفين . ولكنه جاء ذات ليلة الى نافذة  
غرفى وكان مغمورا ، وطلب منى ان اسمح له بالدخول .  
- وهل سمحت له ؟

- لا طبعاً . اننى حين اقرر شيئاً لا اراجع عنه .  
- ولكنه شاب رائع .. واية فتاة ترحب بطلبه ..  
فردت ماريانكا قائلة بكبرياء :

- اذن ليذهب الى هذه الفتاة ..  
- الا تشعرين بالأسف من اجله ؟

- بلى اشعر .. ولكننى لاحب ان اترك احداً يعيش بعواطفى .  
الا ترى هذا .

فاخفت استنكا وجهها فى صدر ماريانكا ، وقالت هامسة :

— انك فتاة باردة المواقف .. انك لا تريد أن تسمى  
بالسعادة .

ثم أردفت قائلة وهي « تدقدها » وتضحك :  
— ولكك فتاة سعيدة الحظ ، ان جميع الشبان يهيمون بك  
حبا ، ولكك لا تهتمين بأحد منهم . ولو كنت في مكانك ، للعبت  
بعواطف ذلك الروسي الثري .. أولئین .. انه يحبك ويكاد ياكلك  
بنظرانه . لو انك تربي الهدايا الجميلة التي يقدمها بابا بلنسكى  
الى ! ان أولئین اوفر ثراه منه . وقال انه اغنى رجل في روسيا  
وان تابعه فانبوشا يقول ان لديه مئات من عبيد الارض .  
وانتصيت ماريانكا قائلة :

— اعرفين ماذا قال لى يوما ؟ اننى اتمنى لو كنت خطيبك ليوكا  
او اخاك لارونكا .. فماذا كان يعنى بقوله هذا ؟ .

— اوه .. انه يقول اى شيء يخطر بباله . تعالى واسمى ما  
يقوله لى بابا بلنسكى .

وعادت ماريانكا ورقدت لنشام وهي تقول :

— لقد طلب ان يائى ويساعدنا فى جمع المحصول . وقد رحب  
ابى به .. وسوف يائى اليوم .

\*\*\*

سقطت اشعة الشمس عند ميلها فى سمت الاصيل ، على  
وجهى اوستنكا وماريانكا الراقدين فى ظل المربية . ولما استيقظت  
الفاتان ، وراحت ماريانكا تنظر حولها رأت عند شجرة الكوخ  
نزيلهم أولئین واقفا يتحدث الى ابيها والبندية على كنفه ولكرت  
اوستنكا فى جانبها واشارت اليه باسعة دون أن تقول شيئا .

وكان أولئین يقول وهو ينظر حوله فى لهفة دون أن يرى ماريانكا  
بسبب تكاثف اعواد النبات :

— لقد ذهبت أمس ولكننى لم أر واحدا منها .

— اوه .. لاشك انك لم تذهب الى المكان الذى وصفته لك ،  
لان هذا المكان مملوء بالارانب البرية .



وفحافة ذاك الام المجوز ضاحكة :

- ومن .. ابلق ان تجرى لصيد الارانب دون ان تاتي  
لإعادة السب في جمع المحصول ..  
- ردت بصوت مرتفع تقول :  
- عمتك انت الى العمل ..

وكانت ماريانكا وأوستنكا تتهايمان بحوار المركبة وتضحكان  
بصوت خافت حتى لا يعرف أولئین مكانهما . وكان الوالد يسودد  
الى الروسي الشاب مند عرف بأمر الهدية التي قدمها الى ليوكا .  
اي الحواد الذي يبلغ ثمنه أربعين روبلا . . وكان يزداد سرورا كلما  
راى وشائج الهدية تزداد بين الشاب الروسي الثرى وبين ابنته  
ماريانكا .

وقال أولئین وقد لمح ثوب ماريانكا الأزرق ومنديلها الأحمر :  
- ولكنى لا اعرف كيف اقوم بالعمل معكم .  
وقالت الام المجوز :  
- تعال لاقدم لك بعض الخوخ .  
وقال الوالد :

- دعت من هذه المرأة الحمقاء . انها تريد ان ترحب بك على  
الطريقة الفورافية ولكنكم فى روسيا تقدمون لضيوفكم مربي  
الكُمثرى وما الى هذا من الحلوى المطهورة .  
- لا .. لا شكرا . اننى افضل ان اعمل معكم اولا فى جمع  
العنب .

وبدا وليس يعمل ، وانتهم أول فرصة انفراد فيها بماريانكا وقال  
لها وهو يحاول السيطرة على نبرات صوته .  
- هذا العنقود لا يزال اخضر وان كان يزن اكثر من ثلاثة  
ارطال

- ولكننا نطعمه ..  
- ولكن من اين .. هل من هذا العنقود ؟

واخذت ماريانكا تعلمه كيف يتقطع العنقود الكر وتلا مستأ  
أيديهما ، ونظرت اليه باسمة ، وقال لها :

- متى سيتم الزواج ؟

فنظرت اليه في شيء من الحزن ، ثم اشاحت بوجهه دون أن  
يجيب .

وعاد هو يقول :

- هل تحبين ليوكا .

- وما شأنك بهذا ؟

- أنتي احسده .

- احقا ؟

- نعم . . انك جميلة جدا . .

وأمسك بيديها فجاء وقد اضطرم وجهه وخفق قلبه بنسدة  
وركز نظراته عليها اما هي فقد قالت بهدوء :

- ايا كان الامر ، فأنني لست من نصيبك .

ثم أردفت قائلة بعد برهة صمت :

- فلماذا تسخر مني ؟

ولكن عينيها كانتا تقولان بوضوح انها تعتقد تماما انه لا يسخر  
منها ، وانما هو جاد في حبه لها .

وقال هو باضطراب :

- اسخر منك ؟

ثم تنهد بعمق واستطرد قائلاً :

- آه . . لو انك تعلمين . .

وشعر ان عبارته هذه سطحية ولا تتفق مع حقيقة شموه  
ومن ثم عاد يقول بحرارة :

- اننى على استعداد لان افعل من أجلك اى شيء .

- آوه . . دع يدى ايها الشاب الماكر .

- أمكزلا -

ولكنها باضطرام وجهها ، وتالق مئيتها ، وخفتان صدرها  
الجميل ، كانت تقول له شيئا آخر . واحس اولنين انها كانت منذ  
مدة طويلة تعرف ماذا يريد ان يقول لها ، ولكنها كانت تعفو لان  
لسمع منه كيف يمكنه الامراب عن مواطنه نحوها .

وقبل ان يقول لها شيئا ، اذا ماوسنكا تقول ضاحكة وهي  
واقفة عند كرمة قريبة :

- انت .. هناك .. اولنين .. تعال وساعدنى .. اننى اعمل  
بمفردى منذ الصباح .

ولكن اولنين لم يرد ولم يتحرك من مكانه .

ومادت ماريانكا الى عملها فى جمع منافيد العنب . وكانت  
بين الحين والآخر ترفع وجهها الى اولنين وتبتسم . واراد هو ان  
يقول شيئا ، ولكنه هز راسه وقرر ان يلتزم الصمت .

ولما اوشكت الشمس ان تغيب ، حمل بندقيته على كتفه ،  
واستدار خارجا بسرعة من الكرمة ، وضجكات اوسنكا وماريانكا  
ترن فى اذنيه .

## الفصل الخامس عشر

### عذابات الحب

امضى أولنين فترة الغروب فى الفأبة محاولا اصطيد شىء ■  
ولكنه لم يوفق ، وحين عاد الى مسكنه ، رأى ماريانكا فى الفناء  
وهى تقوم بأعمالها المعتادة قبل أن تدخل كوخ الأسرة لتناول العشاء،  
ومضى هو الى كوخه ، وجلس يفكر فيما ينبغي أن يفعل . وأخيرا  
تناول عشاءه ، وترك فانيوشا ليمضى الى فراشه ■ ثم جلس فى  
الشرفة غارقا فى تأملاته بعد أن هدأت الحركة فى القرية . وكان  
بين الحين والآخر يسأل نفسه :

— ماذا أريد ؟ وماذا ينبغي أن أفعل .

وكلما سمع وقع خطوات خفيفة فى الفناء ■ أسرع واطل  
برأسه وكان يرى فى كل مرة طرفا من ثوب ماريانكا وهى تسرع  
إلى العودة الى الكوخ . وكان قد عرف — بالسمع — أن والديها قد فرغا  
من العشاء ■ ومن تبادل الأحاديث ، وأنهما أويا الى فراشهما .

واستجمع شجاعته فى النهاية ■ وسار على أطراف أصابعه ■  
وقتح باب كوخ أسرة ماريانكا ■ واختلس نظرة الى الداخل ■ ولما  
رأى أن ماريانكا لا تزال مستيقظة ، أسرع متراجعا ، وعندئذ سمع  
صوت رجل فوزاقي يقول وهو فى الفناء :

- ما هذا .. ماذا يجري هنا ؟  
ثم رأى نازار يتقدم نحوه ويردف قائلا :  
- شيء جميل جدا .. لقد رأتك بنفسى هذه المرة ، وليسوق  
المبلغ الامر الى شيخ القرية .  
وسمر أولئين فى مكانه عاجزا عن الرد . وعاد نازار يقول :  
- وساحبر والدھا ايضا كيف تسمح هذه الفتاة بتسلك الى  
كوخھ . الا يكفيھا حطیب واحد ؟  
واستطاع أولئين ان يقول فى النهاية :  
- ماذا تريد منى ؟ والى اى شيء تهدف ؟  
- لا شيء .. ولكننى ساحبر القرية كلها بما رأيت .  
وكان نازار يتحدث بصوت مرتفع عن عمد ، مما جعل أولئين  
يرتعد ويقول له وهو يمسك بذرأه ويجذبه نحو الكوخ :  
- تعال معى هنا .. انك تعرف انه لم يحدث شيء .. انها انت  
ان تسمح لى بالدخول . وانا لم اكن اقصد شيئا . انها فتاة شريفة .  
فرد نازار ساخرا :  
- سوف ترى هذا .  
- ولكننى ساعطيك مبلغا من المال على كل حال . انتظرى هنا .  
واسرع أولئين الى كوخھ ، ولم يلبث ان عاد ومعه عشرة روبلات  
اقدمھا لنازار وهو يقول :  
- لا شيء حدث على الإطلاق . وانت تعرف هذا . ولكننى  
اخطأت التصرف على كل حال ، وانى اقدم اليك هذا المبلغ حتى  
لا تحرج احدا بعد رابت .  
وضحك نازار وقال وهو يتصرف بعد ان دس المبلغ فى جيبه :  
- حسنا جدا .  
وكان نازار قد عاد الى القرية فى تلك الليلة ليقوم بمهمة من  
اجل ليوكا ، او على الاصح ، ليجث عن مكان يخفى فيه جوادا  
مسروقا . وفيما هو يمر بالشارع رأى أولئين فى أثناء محاولته فتح  
باب كوخ مارياتكا . وفى اليوم التالى راح يزھر امام صديقه ليوكا  
وجما فعل ، وبما ظفر به من مال أولئين .

\*\*\*

رعى -ت ليلة ، جلس أولئين مسهداً قارناً الى أفكاره وهوميه  
ومن لم لها الى مفكرته يكتب فيها خواطره واحساساته وظل  
مشغولاً بالكتابة حتى اوشك الفجر ان ينبلج . وقد اختتم مذكراته  
فى تلك الليلة بهذه العبارات :

« ان انكار الذات مبدأ عظيم لا جدوى منه .. انه لون من  
الكبرياء ، وملاذ من الاحساس بالشقاء ، وتخلص من القسرة التى  
تلا النفس من سعادة الآخرين ، اذ كيف يعيش الانسان لغيره  
ويعمل صالحاً وهو معذب بحب فتاة ما ، ممتلىء النفس بالرغبة  
فى الحياة معها ؟ اننى الآن لا اريد السعادة لغيرى ولا للبوكا ، اننى  
اريد لها اولاً لنفسى ، اتنى احبها واتعذب بحبها ، ومن العار  
ان اتركها لانسان غيرى اذا كان فى مقدورى ان اطعمها ، واذا كانت  
هى تبادلنى الحب فعلاً .. ان الحب اقوى من كل شيء .. وان  
الانسان وهو على قيد الحياة لابد ان يسعى الى السعادة بقدر ما  
يستطيع . ومن لم ساذب اليها وصارحها بكل شيء .

\*\*\*

وذهب اليها فى مساء اليوم التالي .. كانت جالسة على  
الفرن ماربة الرأس تخط لونا حبيباً على ضوء سراج . وكانت  
امها جالسة على منكا بجوار الفرن تغزل خيوط الحرير من شرايق  
ويدان الحرير ، ولما راته ماربانكا ، وثبت من فوق الفرن واسرعت  
تصعب راسها بمندبلها ، ثم حاولت العودة الى ظهر الفرن عندما  
نالت لها امها :

- ماداك .. ابقى معنا هنا

- لا .. لا استطيع با اماء .

ولم يستطع أولئين فى جلسته ان يرى غير جزء صغير من  
جسمها وراح يتبادل الحديث مع الام المجوز الى رحبت به اجمل  
لرحيب . وقدمت له الزبيب وفطائر العنب وبعض الثيب الجيد ،  
واخذت تحته على الطعام والشراب . وكانت المرأة المجوز تبدو

لاولين على جانب كبير من الرقة والحنان بعد ان تغلب على صدمة لقائها الاول له .

وقالت في معرض الحديث :

- اتنا نحمد الله . . فكل شيء ميسور لنا . . لدينا حاجتنا من الطعام والشراب ونغني عننا من التبيل هذا العام نحو ثلاثة او اربعة براميل يمكن بيعها وانفاق ثمنها في حفلة زواج ماريانكا . . ونرجو ان تشترك معنا في مباحج هذه الحفلة .

وخفق قلب اولين بعنف وقال والدماء تلهب وجهه :

- ومتى ستكون هذه الحفلة ؟

- ربما في الاء جوع القادم . اتنا مستعدون لكل شيء . . ونرجو ان سنقر ليوك بعد الزواج وبستقيم حاله . لقد سمعنا انه يقوم باغارات على هضاب نوجاي ولانك ان هذا ميعرضه للمحاطر .  
- رجو الا يقع في قبضة التشر . والواقع انني رابته في القرية بسرف في شرب الخمر : كما سمعت انه باع مرة اخرى جوادا مسروقا من هضاب نوجاي .

وشمر اولين بالخشجل حين راج ماريانكا تنظر اليه بغضب وتقول بصوت كله التحدى :

- وماذا في هذا ؟ ان ليوكا بشرب كغيره من الشبان . وهو يدفع نمن شرابه من ماله . ولا تنس انه لا يتسبب في ابداء احدهم .  
ثم وثبت عن ظهر القرن ، وفادوت القرقة واغلقت الباب وراءها بعنف وشبهها اولين بنظراته ، وقد بره انه اتار في نفسها الانفعال .

\*\*\*

ووجدها في مساء اليوم التالي بمفردها في الكوخ تستعد للثوم . وكانت امها مشغولة في حفلة المواشي . فقال لها في صوت ملهوف :







- ماريانكا .. الا ترحميني ؟ اننى لا استطيع ان امر بـ لك  
من مبلغ حبي .

فتراجعت عنه قليلا وتمتت قائلة :

- دعك من هذه الاحاديث الرخيصة . وفكك انك لن تستطيع  
ان تنال منى شيئا .

- اننى جاد فيما اقول .. لا تتزوجى ليوكا . لسوف اتزوجك  
انا .

« وقال لنفسه : وبكى .. ماذا اقول ؟ هل يمكننى ان اقول  
هذا قدا وبعد غد ؟ نعم .. نعم .. اننى واثق من انى احبها وانمنى  
الزواج بها . »

وقالت هى فى دهشة وامفة وقد زایلها الخوف :

- اريد ان تتزوجنى حقا ؟

- نعم يا ماريانكا .. اننى اهتم بك فراما واكاد افقد عقلى ..  
اننى سافعل كل ما تامر بى به .

ولم يبتعد عنه هذه المرة ، وانما مدت يديها ، واخذت بينهما  
هذه الرقيقة الممتدة اليها ، وهمست قائلة بصوت خال :  
- لا تكن احمق يا ماريانكا .. هل سمع احد من قبل ان سيدا  
مكثما مثلك تزوج فتاة قوزاقية فقيرة ؟

- ماريانكا .. اننى احبك ، وهذا يكفى .. وسوف احقق  
لك ..

ثم بسط ثراومه لبطونها ، ولكنها تخلصت منه وانفلتت كالغزال  
الشارد وهى تضحك .

وعاد الى كوخه فى تلك الليلة ، واستغرق فى نوم عميق وقد  
لمعتا قلبه رضاء من نفسه ومن الحياة .

## الفصل السادس عشر

### ليلة المهرمان

كانت القرية تحتفل بمهرجان الحصاد في الميدان الكبير الذي يتوسطها وكان الشبان والعنيات يرقصون ويغنون بملابسهم الوطنية ويتبادلون الوان الحلوى ، يشربون النبيذ الأحمر ، وكانت أوستنكا لتتضيف في كوخها المظلل على الساحة صديقها بلنسكى وصاحبه أولتين . وكان ليوكا وصديقه نازار قد عادا الى القرية ليشاركوا في الاحتفال ، وكان ليوكا أكثر الشبان رقصا وغناء . ولما رأى أولتين في نافذة كوخ أوستنكا ، أوما له برأسه ، وقال له :

- هلم يا ديمتري واشترك معنا في الاحتفال .

فقال له أولتين بشيء من الجفاء :

- سوف أحاول .

وهمس بلنسكى شيئا في أذن أوستنكا . وسرعان ما أسرعتا الى الساحة ثم عادت ومعهما ماريانكا التي وقفت خارج النافذة تبسم لأولتين . فقال هذا لها :

- ادخلي يا ماريانكا .. أرجوك .. اننى أريد أن أحدث اليك فى امر مهم .

فاقتربت منه وقالت :

- ماذا تريد ان تقول ؟

- اريد ان اسمع منك الإجابة عن سؤالى .

- أى سؤال تقصد ؟

أفهمس فى اذنها قائلة :

- السؤال الذى وجهته اليك منذ أيام .. هل تتزوجيننى  
يا ماريانكا ؟

ففكرت ماريانكا برهة ثم قالت :

- سوف اخبرك الليلة ..

ثم اقلت عليه نظره حائبة ، وامرعت للاشتراك فى الغناء  
الرقص .

\*\*\*

وامرغ ليوكا فى الشرب ، وراح يرافض البنات الواحدة بعد  
الأخرى ولما حاول ان يعانق أوستنكا ، نفر منه وقالت بصوت  
مهاضب :

- اننى عائدة الى البيت .. وسوف تأتى ماريانكا معى .

ولكن ليوكا طوق ماريانكا بذراعه ، وهمس لها قائلاً :

- لا يا ماريانكا .. لا تذهبى معها الآن .. اننى اريد ان استمتع  
بهذه الليلة معك .. هودى الى بيتك وسوف الحق بك .

- لا .. اننى اريد ان استمتع بالاحتفال .. وسوف اذهبى  
مع أوستنكا الى مسكنها .

- حسناً .. ولكننى سوف اتزوجك على كل حال .

فانفلتت ماريانكا منه وقالت فى تحد :

- سوف نرى .

المنظر اليها برهة وقد قطب جبينه : ثم قال لحاة :

- ماذا تعنين ؟ اذن فان ما سمعته هو الحقيقة ؟ حسناً .. ان  
موقفك هذا لن ينتهى الى خير .

وتسمرت ماريانكا بالخوف وتعمتت قائلة :

- ماذا تعنى يا ليوكا ..

- اعنى علاقتك بذلك النزيل الرومى !

قهفت قائلة فى غضب :

- وما شأنك انت ! انك لست ابى او امى . واتا حرة فى

علاقتى مع الفير .

- الـن تذكرى كلامى هذه .

لم استدار وصاح مطالبا القتيات والشبان بالمزيد من الفناء

والرقص .

\*\*\*

وقف اولئى بالقرب من مسكنه فى الظلام . فلما رأى ماريانكا

تقترب ! اسرع اليها وطونها بذراعه وقبلها فانثلا :

- ملوبانكا .. حبيبى !

وهمسكت :

- يكفى هذا الآن .. وعليك قل ان تقبلنى ؟ ان تتزوجنى .

او ؟

- لسوف اذهب الى ابيك فدا واخطبك منه .. ولكن ..

ان تتكلمى الامر حتى تتم الخطبة .

- اتنى لن اخبر احدا بشئ .

- هل تتزوجينى يا ماريانكا !

- نعم ..

- ولكن .. هل تحبينى ، هذا هو المهم .. اناسدك الله ان

اقصدقنى القول .

فضحكت وقالت وهى تضغط على يديه بيديها :

- ولماذا لا احبك ؟ انك شاب ممتاز كريم .. وان يدبك لناعتان

الزبد .

- ماريانكا .. اتنى يجاد فى سؤالى .. هل تتزوجينى ؟

« نعم .. اذا وافق الى »

« ارجوك .. سوف ارجن اذا مررت أنك تخدمينى .. لموقف  
الحدث غدا مع والدك وأطلب يدك منهما »

فلما ضحكت ، قال :

« لماذا تضحكين ! »

« لا شيء .. ان الامر طريف »

« ولكننى جاد .. سوف اشترى مزرعة كروم وبيتا واتقم  
بجميعا الجير القوزاقى »

« المهم ان تخلص لى ولا تجرى وراء نساء قيرى .. اتنى  
لا احتمل هذا .. »

ولميت اولتين من فرط السعادة ومن الالم فى وقت واحد ..  
السعادة وهو نصت الى كلمات ماريانكا التى تنم عن مدى حبها  
له ، والالم لانه يراها واقعة تتحدث اليه فى هذا الامر الخطير بهدوء  
تام ، وكأنما الحديث يدور حول شيء آخر لا أهمية له ..  
وماد الى مسكنه وهو يقول لنفسه :

« ان الحياة ستمتد امامنا ، وسنستمتع كل منا الآخر على مر  
الأيام .. وان حبنى لها لا يمكن التعبير عنه بالكلام .. ولست  
اخبر والدتها غدا .. واخبر بلنسكى واحبر القرية كلها .. »

وفى خلال هذا ، كان ليوكا قد اسرف فى شرب النبيذ حتى  
تفقد الوعى فمضى ليلته فى حانة بامكا .

\*\*\*

ولمنسقط اولتين فى بكور اليوم التالى منشرا ، ممتلئ  
النفس بالامال التى كان يرجو ان تتحقق لى هذا اليوم .. وولم  
من فراقه لسنعد للذهاب الى والدتها ، ويظفر منهما بالموافقة على  
تطلب يدها . ولم تكن الشمس قد اشرقت بعد حين سمع ضجة فى  
الشارع ووقع الاقدام مقرونا « بدفقة » حوافر الجياد ، ومن ثم  
لمبرع الى مصدر الضجة بعد ان ارادى سترته المسكرية فرأى

خمسة من الفرسان القوزاق يعرفون في الشارع وهم يشاهدون الحديث بأصوات مرتفعة وكان ليوكا يتقدمهم بكنفيه العريضتين فوق جواده الرائع . وكان أحدهم يقول :

- لنمض الى المخفر الامامي .

وقال آخر :

- كن على حذر .. انك لم تخرج جوادك كما ينبغي .

وصاح ليوكا بوجه متوهج :

- هلم الى البوابة الجنوبية .. انها تؤدي الى اقرب طريق .

وصاح اولئين قائلا :

- ماذا حدث ؟ الى اين انتم مذهبون ؟

- اتنا مسرعون الى مصابة من الخنز في الكثبان الرملية على هذه الضفة ان مددنا قليل ، ولكننا لا نستطيع الانتظار اكثر من هذا .

وادرك اولئين ان تخلفه عن الاشتراك معهم في هذه الحملة سيكون مثار الحديث في القرية ، ومن ثم بادى الى بندقيته لحملها ، والى جواده فأسرجه بمساعدة فانيوسا ، واستطاع ، هو وتابعه الشاب ، ان يلحقا بالفرسان الخمسة عند بوابة المدينة ، وان ينضموا اليهم .

وبعد مسيرة نصف ساعة ، لحق بهما النان آخران ، كان أحدهما مدرسا شابا بالمدرسة العسكرية ، وكان في زيارة للقرية ، ومن ثم عهد اليه بقيادة الحملة . ولكن الفائدة الفعلية لها كان ليوكا ، اما اولئين فان احدا لم يحفل به ، او يهتم بامر .

ورأى اولئين أن يتقرب من المدرس العسكري الشاب ليعلم منه ماذا حدث وكان المدرس لطيفا ، فقال لاولئين ان طابورا من جنود المخفر كان يقوم بجولة تفنينية حين لمح عددا من رجال التنص الجبلين في الكثبان الرملية على بعد نحو مئة أميال . واطلق التنص التيران على الطابور العسكري قائلين انهم لن يستسلموا حتى







الموت . ولما كان الظهور لا يزيد على ثلاثة جنود وجاوبش : قلنا  
تراجع افراده . وارسل الجاوبش احد الجنود طالبا النجدة .

واشرقت الشمس ، وبدت للال الرمال واضحة في كل اتجاه .  
وصل افراد الحملة في صمت وحيونهم لا تفعل من شيء ، وكان  
ليوكا يمشى في المقدمة على جواده الرائع ، مرفوع الرأس ، متوهج  
الوجه ، حاد النظرات ، وكان أولئین يختلس النظر اليه بين الحين  
والآخر في اعجاب مقرون بالحدس الغيرة ، وكان في الوقت نفسه  
قد قرر حين رأى القوزاقين يتجنونه ، الاشتراك في المعركة .  
ولاسيما بعد ان البت شجاعته في معارك سابقة نال عليها بعض  
الأمسة ، ولكن السبب الرئيسي لرفضه في عدم الاشتراك هو  
الشعور بالسعادة الفامرة ، وقد عز عليه ان تظفي المعركة هذا  
الشعور .

ولفجأة دوى طلق نارى من بعيد ، ولحمس المدرس الشاب  
واهتاجت مشاعره ، ولكن افراد الحملة القوزاقية لم يظرفوا  
بعيونهم . ولم يهتز في ابدانهم شعرة . وانما ظلوا منطلقين بسرعة  
راوا ليوكا الذى كان يتدلع نحو مخبأ التتر بوجه كله عزم واضرار .  
ولفجأة وقف ليوكا جواده وقال :  
- ارى شخصا على جواد من بعيد .

ومد أولئین بصره في كل اتجاه . ولكنه لم ير شيئا . ولكن  
القوزاقين لم يشعروا ان راوا ثلاثة رجال على جيادهم . فقال لهم  
أولئین :  
- أهؤلاء هم التتر .

ولم يجب عليه احد الجنود ، وكانما ارادوا بصحتهم ان يبينوا  
له مدى حماقته في توجيه سؤال كهذا . وكانما ارادوا ان يقولوا  
له : هل يعمل ر يظهر التتر انفسهم بهذا الشكل .  
وقال ليوكا : هو يشير الى احد الجنود الثلاثة المرعفين نحوهم :  
- هاهو ذا الزميل رودكا بلوح في يده . . ترى ماذا حدث له .

وبعد لحظات اقبل الجنود الثلاثة . وكان من بينهم الجاوبش  
محمورا . وانصروا لبقية الحملة .

وسأل ليوكا الجاويش جوركا قائلا :

ـ على أية مسافة يكمن التتر ؟

فأشار الى تل رملي وقال :

ـ انهم على مرمى البنادق من هذا التل . وقد تركت أحدهم

يجنودى ليمنهم من الزحف .

وترجل الجميع عن الجياد ، ومضوا الى التل الرملي حيث كان

إحد الجنود يتبادل مع التتر إطلاق النار . ومرت رصاصة بجوان

اولنين ، فجعف وتراجع مما جعل ليوكا يقول له ساخرا :

ـ ابتعد انت عن هذا المكان .. انه شديد الخطر عليك .

ولكن اولنين أصر على أن يرى هؤلاء التتر المفيرين المصريين على

الانتصار أو الموت .

وأطل برأسه من فوق حافة المرتفع ، ولم يلبث أن لمح على

مسافة بعيدة : تتوء من الرمال تبدو وراء قلنسوات التتر وفوهات

بنادقهم . وكان عددهم لايزيد على تسعة رجال أشداء .

وقال ليوكا :

ـ يجب أن نحضر عربة تبن وندفعها امامنا ونلوذ بها في

إثناء تقدمنا نحوهم ، والا فانهم سيصيدوننا الواحد بعد الآخر .

ثم أشار الى مرتفع رملي قريب وقال :

ـ توجد في هذا المرتفع عربة تبن وضعت لهذه الأغراض .

هلم نأت بها .

وسرعان ما كان جنود الحملة يدفعون بعربة التبن أمامهم

مستترين وراءها في تقدمهم نحو التتر المترقبين لهم . وكان رجال

التتر التسعة متحفزين . وقد ركعوا على الرمال واستعدوا لإطلاق

النار في الوقت المناسب .

وظل الجنود القوزاق ، وراء العربة . يقتربون حثيثا من التتر .

وكان اولنين يتوقع أن يرى التتر يطلقون النار في أية لحظة، ولكنهم

إكأنوا يتحفزون وهم يرددون نشيدا جنائزيا ، وفحأة توقف النشيد

وانطلقت رصاصة من صفهم ، ومالت الجو صيحاتهم .. ولعناتهم

وظلقات بنادقهم ، ولكن الجنود القوزاق ظلوا يتقدمون مستترين  
بعربة التنين دون أن يطلقوا رصاصة واحدة ، حتى غدوا على مسافة  
باردات من مكمن التنر .

وفى لحظة واحدة ، اندفع الجنود من جانبي العربة ، بتقدمهم  
ليوكا ، وصياحهم يمزق الجو . . وسمع أولنين دوى بضع ظلقات  
قارية ، ثم صيحات توجع وأنين ، ولاح له أنه رأى الدماء تنطابح  
بين سحب الدخان . وترجل عن جواده بسرعة . . واندفع الى  
الاملاء ليساعدهم فى المعركة ، ولكنه فوجئ بان كل شيء انهم فى  
الحظات ، وان الجنود القوزاق اطلقوا على انتشر وقتلوا بعضهم  
واسروا البعض الآخر ، وكان ليوكا ممسكا بلذراع تنرى جريح وهو  
يصيح فى زملائه قائلا :

- لا تقتلوه . . اتنى اريد حيا . . انه شقيق التنرى الذى  
قتله . . انه الرجل نفسه الذى جاء ودفع الفدية لينلم جثة  
اخيه .

وكان ليوكا يلوى بمنف لذراع التنرى ، ولكن هذا تخلص منه  
بقبحة ، واطلق عليه النار من مدارله وسقط ليوكا على الارض ،  
وانبثقت الدماء من بطنه ، ولكنه ولب واقفا وراح يغمغم باللamentos  
وحاول ان بهجم على التنرى ، ولكن نازار كان اسرع منه ، فاطلق  
مسدسه على التنرى وقضى عليه . واسرع زملاء ليوكا اليه  
لاسماحه .

وانتهت المعركة ، وحملت الجثث واقتيد الاسرى الى دار شيخ  
القربة وماد أولنين الى مكانه ، وفى المساء سمع ان ليوكا لم  
يمت ، وان كان جرحه خطيرا ، ولكن احد الأطباء عبر النهر ووجد  
بالحضور لاسماحه ببعض الأعشاب العينة .

وانتظر أولنين حتى فرغت ماوياتكا من أعمالها المنزلية فى الفناء  
وفى حظيرة المواشى ، ثم ذهب اليها فى كوخها . وهناك رآها واقفة  
وظهرها اليه ، فظن ان الحياه العذرى بقلها على امرها ، ومن ثم  
قال :

- ماوياتكا . . هل سمحين لى بالحديث معك ؟  
فاستدارت نحوه قبحة وقد تبللت عيناها بالدموع ، وارسم

الحرن العميق على وجهها الجميل . ونظرت اليه في تراقع صامتة !  
وعاد هو يقول !

- ماريانكا .. لقد رجيت ..
- قهتفت قائلة وقد انسابت الدموع على وجنتيها غزيرة !
- دعني وهاتني ..
- ما هذا ؟ ماذا حدث ؟
- فقال بصوت جاف !
- ماذا حدث ؟ القوزاقيون قد قتلوا .. هذا هو ما حدث ..
- اتعنين ليوكا !
- ابتعد عني .. اننى لا اريد منك شيئا ..
- فقال لها عاليا !
- ماريانكا !
- انك لن تنال منى شيئا ابدا ..
- فقال اولئين متوسلا !
- ماريانكا .. لا تتحدثى الى هكذا ..
- فصاحت الفتاة وهى تضرب الارض بقدمها !
- ابتعد عني ، اقرب عن وجهى . اننى اكرهك ..

\*\*\*

وادرک اولئين من تعبيرات وجهها الممتلىء بالكراهية والفضب  
والاحتقار انه فقد كل امل معها ، وانه ، كما كان يظن من قبل !  
لا يعنى فى حياة هذه الفتاة شيئا على الاطلاق .  
وبهذا الشبحور الثقيل ، اندفع خارجا من الكوخ دون ان يجيب  
بشيء .

\*\*\*

وبعد عودته الى مسكنه ، رقد فى سريره نحو ساعتين بلا  
حراك . ثم نهض ومضى الى قائد وحدته وطلب منه الاذن بالانضمام  
الى القوات المقاتلة . وبدون ان يودع احدا . وبعد ان ارسل  
فانيوشا « ليسوى » حساب اقامته مع والد ماريانكا استعداد للرحيل  
الى القلعة التى تقيم فيها القوات المقاتلة . وكان المعجوز ابروشكا  
هو الوحيد الذى جاء لزيارته فى ذلك اليوم . فجلس معه يشرب

الكاس بعد الأخرى حتى وقفت المركبة التى صقلته وحاجاته الى القلعة امام الباب .

وقال أولئين للمجوز ابروشكا :

- كيف حال ليوكا ؟ هل سيشفى من جرحه الخطير ؟

- الله وحده يعلم . ولكن شيخ القرية ارسل يستدعى طبيباً جراحاً من مدينة جرونزنى .. آه .. لاكرنى .. يجب ان امضى الى ماريانكا واطمنئها عليه ..

وتنهض أولئين وصافح المجوز قائلاً :

- حسناً يا ابروشكا .. وداعاً ..

وضغط المجوز على يد أولئين بحرارة وقال :

- وداعاً يا صديقى الشاب .. اتنى احبك .. احبك كابن لى وداعاً .

ولما اخذ أولئين مفعده فى المركبة . قال ابروشكا :

- اعطنى تلكوا يا عزيزى أولئين ، ان معك بندقيتين .. اعطنى احدهما .. ماذا ستفعل باثنتين ؟

فابتسم أولئين ، وقدم بندقيته للمجوز ، على حين قال فانوشا مستكراً :

- ان جنح هذا المجوز الخبيث ليس له حدود .

وفى تلك اللحظة خرجت ماريانكا من حظيرة المواشى . والقت نظرة عابرة على المركبة ، ثم امتدارت وسارت نحو باب كوحها . وغمز فانوشا بعينه وقال وهو يصحك بحماسة :

- يا لها من فتاة !

وهتف به أولئين غاضباً :

- هلم امضى ..

وصاح المجوز ابروشكا قائلاً :

- وداعاً يا ولدى .. وداعاً .. اتنى لن اتألف .

ولما تحركت المركبة ، نظر أولئين وراه ، واذا هو يرى المجوز ابروشكا يتحدث مع ماريانكا فى شأن من شأنه الخاصة كما يبدو دون ان يحاول هو او الفتاة القاء نظرة واحدة عليه .

الذالكون من الطباعة والنشر

# الدار القومية للطباعة والنشر

لكن الله تعالى

في العالم العربي  
من القاهرة

يصدر عنهما

روايات عالمية الكتاب الماسي

مناهج ومفاهيم	من الشرق والغرب	كتب سياسية
كتب قومية	في البرع العالمي	أخبار العالم
أخبارنا المحلي	أخبارنا الطالب	أخبار العالم
دراسات إنشائية	رسائل ماسية	لجوانا العالمية

مكتبات الدار

نيويورك

لندن

البحر الأحمر

بيروت

طرابلس

بغداد

أخترطوم

الاسكندرية

القاهرة

مجلة الإذاعة والتلفزيون

مجلة نوار الوطن

ARAB  
OBSERVER

ARAB  
OBSERVATEUR

Le Scribe  
ARAB REVUE

Le Scribe  
ARAB REVUE

Le Scribe  
ARAB REVUE

Le Scribe  
ARAB REVUE

Le Scribe  
ARAB REVUE